15 em Année No. 747

Lundi — 27 — 10 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٧٤٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ذى الحجة سنة ١٣٦٦ — ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

القرآن والنظريات العلمية

للأســــتاذ عباس محمود العقاد

« ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فإن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ، يقول فى الطبعة الثانية من كتابه إعجاز القرآن فى هامش صفحة ١٣٢ تعليقاً على الآية القرآنية : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ...

« فجاءت العبارة فى الآية الكريمة كأنها سلالة من علم تتسع لمذهب القائلين بالنشوء ، ولمذهب القائلين بالخلق ، ولمذهب القائلين بانتقال الحياة إلى هذه الأرض فى سلالة من عالم آخر ... » .

فإن كانت نظرية دارون صحيحة فإنى أريد أن أعرف رأيكم فى الكيفية التى يقبل بها القرآن الكريم أن يكون الإنسان من سلالة القردة ، وأرجو أن أقرأ ردكم على صفحات الرسالة الغراء ، ولكم جزيل شكرى والسلام » .

« مخلص »

***

والذى نلاحظه « أولا » أن رواية مذهب دارون على هذا الوجه غير صحيحة . فإن دارون لا يقول بتسلسل الإنسان من القرد ، ولا يلزم من مذهبه أن يكون كل إنسان منحدراً من القردة فى أصله القديم .

وكل ما يلزم من مذهبه أن الإنسان والقردة العليا تلتقى فى جذر واحد ، وأن بين الإنسان والقردة العليا حلقة مفقودة لم توجد إلى الآن .

أما الآية القرآنية فهى لا تثبت المذهب ولا تنفيه ، ومن الخطأ البين فى اعتقادنا أن نجعل تفسير القرآن تابعاً للنظريات العلمية التى تنقض اليوم ما تثبته بالأمس ، والتى يجرى عليها الجدل بين المدارس العلمية — أو الفلسفية — على أسس شتى لم يتفق عليها العلماء .

ومن أمثلة ذلك ما ذهب إليه بعض المجتهدين المحدثين فى التوفيق بين القرآن الكريم ومبادئ مذهب النشوء والارتقاء .

فالنشوئيون يقولون بتنازع البقاء ، وهو مطابق للآية القرآنيـة : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » .

ويقولون ببقاء الأصلح ، وهو مطابق للآية القرآنية : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

ومن المشاهدات التى سجلها النشوئيون ما هو صحيح لا ريب فيه ، ولكن المذهب يشتمل على نتائج وتخريجات كما يشتمل على مبادئ ومشاهدات ، وكل ما جاء فيه من قبيل النتائج والتخريجات فهو فى حكم الفروض التى تحتمل النقض والإثبات ، ولا يصح أن نفسر القرآن الكريم وفقاً لها وهى لا تزال فى طور التدليل والترجيح .

والنظرية السديمية مثل آخر من هذه الأمثلة فى محاولات التوفيق بين القرآن الكريم والفروض العلمية .

فن علماء الطبيعة — والفلك خاصة — من يرى أن المنظومات الفلكية نشأت كلها من السديم الملتهب . وأن هذا السديم تختلف فيه الحرارة فيتشقق ، أو ينفصل بعضه عن بعض من أثر التمدد فيه ، فتدور الأجرام الصغيرة منه حول الأجرام الكبيرة ، وتنشأ المنظومات الشمسية وما شابهها من هذا التشقق وهذا الدوران .

فإذا ببعض المجتهدين المعاصرين يعتبر هذا القول فصل الخطاب فى نشأة الأجرام السماوية ، ويقول إنه هو المقصود بالآية القرآنية : « أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون » .

ولكن النظرية السديمية لم تنته بعد بين علماء الطبيعة إلى قرار متفق عليه .

فهل كان الفضاء كله خلواً من الحرارة ، وكانت الحرارة الكونية كلها مركزة فى السدم وما إليها ؟

ومن أين جاءت الحرارة للسدم دون غيرها من موجودات هذا الفضاء ؟ ألا يجوز أن يظهر فى المستقبل مذهب يرجع بالحرارة إلى الفضاء فى حالة من حالاته ؟ أليس خلو الفضاء من الحرارة — إذا صح هذا الخلو — عجباً يحتاج إلى تفسير ؟ أليس انحصار الحرارة فى السدم دون غيرها أحوج من ذلك إلى التفسير ؟

فالقول المأمون فى تفسير الآية القرآنية أن السماوات والأرضين كانت رتقاً فانفتقت فى زمن من الأزمان . أما أن يكون المرجع فى ذلك إلى النظرية السديمية فهو المجازفة بالرأى فى غير علم وفى غير حيطة ، وبغير دليل .

وأظهر من هذا وذاك جدالهم القديم حول دوران الأرض وثبوتها ، أو حول استدارة الأرض وتسطيحها .

فقد تعسف بعضهم فى تفسير آى القرآن الكريم فجزم بكفر القائلين باستدارتها ودورانها ، وجعل القول بثبوتها وتسطيحها حكما قاطعاً من أحكام الدين .

فما قول هؤلاء الآن وقد أصبحت استدارة الأرض مشاهدة من مشاهدات العيان ؟ وما قولهم وقد أصبح دورانها مسألة من مسائل الحساب الذى يحصى كل حركة لها كما تحصى حركات كل قطار ؟

وهكذا يخطئون فى النفى كما يخطئون فى الإثبات كلما علقوا آيات القرآن بهذه النظريات العلمية ، أو الفروض الفلسفية ، التى تختلف الأقوال فيها باختلاف الأزمنة أو اختلاف الأفكار .

وقد تكون محاولات التوفيق مأمونة مقبولة كقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسير الطير الأبابيل بجراثيم الأمراض التى تسمى بالميكروبات .

فالميكروبات موجودة لا شك فيها والإصابة بها محققة كذلك فى مشاهدات مجربة لا تقبل الجدال . فإذا قال المفسر كما قال الأستاذ الإمام أن هزيمة أصحاب الفيل ربما كانت من فعل هذه الجراثيم فذلك قول مأمون على الجواز والترجيح ، ولكنه غير مأمون على الجزم والتوكيد ، لأن الحفريات التاريخية قد تكشف لنا غداً عن حجارة من سجيل أصيب بها أصحاب الفيل فجعلتهم كعصف مأكول .

ومهما يكن من فروض العلماء فى مختلف الأزمنة فإن القرآن الكريم لا يطلب منه أن يتابع هذه الفروض كلما ظهر منها فرض جديد ، وكل مايطلب منه أن يفتح باب البحث لمن يؤمنون به فلا يصدهم عن طلب الحقيقة حيثما سنحت لها بادرة مرجوة ، وقد توافر ذلك فى آيات القرآن الكريم كما لم يتوافر قط فى كتاب دينى تؤمن به الأمم ، فليس أكثر من الحث فيه على التفكير والاعتبار وطلب الحقائق من آيات خلق الله فى الأرض والسماء : « إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

وحسب المسلم أن يعمل بما علمه كتابه فى هذه الآية وماجرى مجراها ليعطى العلم حقه ويطلب الحقيقة من حيث يطلبها الفكر الإنسانى فى عجائب خلق الله بين الأرض والسماء .

أما مدلول الآية كما أشار إليه الرافعى فهو يتسع — كما قال — لجميع المذاهب فى خلق الإنسان . وسواء قطعنا الصلة بين الإنسان وسائر الأحياء العليا والدنيا أو ربطناها فذلك لا ينفى أنه فى أصله

من سلالة من طين . وقد جاء فى القرآن الكريم « وجعلنا من الماء كل شىء حى » ولم يقل أحد أن خلق الأحياء جميعاً من الماء يمنع تسلسل الإنسان من مادة الطين ، فإن الأصل لا ينعدم إذا خرجت منه الفروع على التسلسل والتدريج ، أو خرجت منه دفعة واحدة بغير تسلسل ولا تدريج . وحذار أن نقف فى هذه المسألة كما وقف المجادلون من قبل فى مسألة الأرض واستدارتها ودورانها ، فإنهم يدعون لأنفسهم ما لا يجوز لأحد أن يدعيه باسم العلم أو باسم الدين ، وفوق كل ذى علم عليم .

عباس محمود العقاد

لو أقر المجمع !..

للأستاذ علي الطنطاوي

أديت أمس حسابى فى المطعم وتهيأت للخروج ، فسمعت من ورائى لهجة غريبة ... فتلفتّ فرأيت على مائدة قريبة منى ، عراقياً بسيدارة ، ومعه شامى بعمامة مطرّزة ، ونادل المطعم قائم أمامهما ، والعراقى يقول له :

— ماعون باچيلا على تِمَّنْ ، وصَمّونَهْ .

والنادل مبهوت ، يقول :

— إيه ؟! إيه ؟!

فيقول الشامى : العمى ! شو ما بْتِفهم عربى ؟ بدُّو ماعون ما بتعرف الماعون ؟ يعنى طبق غسيل ، وصابونِهْ

— النادل : ليه بَأَه ؟

— الشامى : ليش ؟! بَرْكى بدّو يتغسل !

(وينضحك من نكتته)

— النادل : يتغسل ! بعيد الشرّ ، عاوز تؤول يشطف .

— الشامى (مغرقاً فى الضحك) : يشَّطَّف ! يا عيب الشوم ، شو ما بستحى انْتِهْ ؟

— العراقى : والله ، مادا أفْتَهِم ، حشّى غريب هْوايَهْ ، يا بَهْ ، ما تِنْحَشّى عربى ؟!

— النادل : ما تحكى عربى ، يا خويا ؟ !

— الشامى : لكان عَمْ يحكى أرناؤوطى ؟! هذا عربى !

— النادل : أمّال بؤول إيه ؟

— الشامى : بؤول بدّو كوسا محشى ومهوايه ، يعنى مروحة

* * *

ولم أستطع أن أتقاعس أكثر من ذلك ، وخفت أن يفضحنى الضحك ، فخرجت وأنا أسائل نفسى : ماذا يكون لو أقر مجمع اللغة (العربية ...) اقتراح الأستاذ فريد أبو حديد بك ، الذى يدرسه الآن أعضاؤه ؟

والذى يقول فيه « فلو كانت العامية لا تزيد على أنها استخدمت أداة للتعامل فى الأسواق والحياة اليومية لكان أمرها هيناً ، ولكنها منذ برهنت على صلاحها للتعبير الأدبى صار من الممكن أن تنطلق فى سبيلها متباعدة عن الفصحى حتى ينتهى بها الأمر إلى الاستغناء عنها ، بل إن جمال أساليب التعبير العامى إذا بلغ مداه كان أجدر أن يسترق القلوب لأن تلك الأساليب أقرب إلى النفوس والأفهام من الفصحى لشدة اتصالها بحياة الكافة .

ولقد كان من أكبر ما عمل على تقويض أركان اللاتينية ظهور كتاب مبدعين فى اللغات القومية الأوربية ؛ وقد كانت تلك اللغات عامية فى وقت من الأوقات بالنسبة للّغة اللاتينية ، فقد ظهر دانتى فى إيطاليا ، وكتب روائع قومه بلغته (إلى أن قال) ولكنا لا نخشى على العربية الفصحى أن يكون مآلها هو مآل اللاتينية لمدة أسباب :

١ — إن العامية لم تستطع إلى الآن (تأمل) أن تتسامى إلى آفاق الفكر العليا ، فإنها لم تزد بعد (تأمل) على أن تكون وسيلة للتعبير الساذج والأحاسيس الابتدائية ، ولم يظهر فيها بعد (تأمل) أمثال النوابغ الذين أنتجوا روائعهم الخالدة ، بلغاتهم الأوربية الحديثة الدارجة .

٢ — إن الفارق بين العامية والفصحى لم يبلغ شيئاً يقرب من الفارق بين اللغات الأوربية الدارجة وبين اللاتينية ، فما زال التفاهم ممكناً فى سهولة بين المثقف وغير المثقف بلغة سليمة بسيطة فصحى .

غير أننا لا ينبغى أن نتجاهل الخطر الماثل فى لباقة اللغة

العامية ، وصلاحيتها كأداة للتعبير الأدبي فهو إن كان اليوم محدوداً فقد يكون غداً أقوى وقد تصبح أقدر على الأداء الأدبي السامي من الفصحى إذا فتن الشباب المثقف بالإنتاج الفكري باللغة العامية ، وعملت أجيال منهم على الارتفاع بها إلى المستوى الأدبي الذي يجعلها لغة فكر وتعبير صحيح » اهـ .

وأفكر ماذا يكون لو فتن الشباب المثقف هذه الفتنة (نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن) ، وصار في الدنيا لغة شامية ولغة مصرية ولغة عراقية ، ونشأ في كل واحدة منها أدباء وشعراء ، كما هي الحال في الفرنسية والإيطالية والأسبانية ، وإن بقيت اللغة الفصحى (كما يريد الأستاذ) لغة القرآن والعلماء والمساجد والمعاهد العالية ، وماذا يصنع إذن صاحب المطعم الذي كنت آكل فيه آنفاً ؟

إنه لا بدّ له من ترجمان ، عارف بهذه اللغات ، واقف عليها ، متخصص فيها ، عالم بدقائقها وسنن أهلها في كلامهم ، ليفهم النادل أن الماعون في بغداد هو الطبق في مصر ، والصحن في الشام ، وأن التشطيف في مصر غسل الوجه واليدين ، ولكنه في الشام غسل الـ . . . أعني الاستنجاء ، وأن الصمّونة في بغداد هي رغيف الخبز الأفرنجي ، ويسمى في دمشق الأفرنجوني ، والباجيلاّ الفول والتمّن الرز ، وأن الـ (هْواية) في العراق ، صفة للشيء الكثير ، وهي في غوطة دمشق الصفعة على الوجه ، وأنك إذا (بسطت) رجلا في الشام ومصر فقد سررته ، وإذا (بسطته) في العراق فقد ضربته ، والمبسوط المضروب (علْقة) ، وهي في الشام (فَلْقة) ، والتقليع في الشام الطرد من الدار ونحوها وفي مصر نزع الثياب وأن التقفيل في مصر إغلاق الباب وله في الشام معنى هو أخبث من أن يشار إليه ، و(هُون) في الشام هنا ، وفي العراق (هنانا) ، والهون في مصر هو الهاوون الذي يدق به واسمه في الشام الهاون ، هذا عدا عن الكنايات السائرة والمجازات المشتهرة ، وهي كثيرة في كل بلد لا يعرفها إلا أهله يلحنون بها في أحاديثهم ، ويسخرون بها من الغريب ، وعدا عن اختلاف النطق وما ينشأ عنه من اختلاف المعنى ، فمن المصريين من يميل بالسين إلى مخرج الزاي ، ومن هنا سارت النكتة في دمشق عن مدرس مصري جيء به إلى مدرسة بنات ، فقال لإحداهن مؤنباً :

— إيه الأسباب التي منعتك من إعداد الدرس ؟

وفي العراق يجعلون القاف جيما معطشة ، وقد سألت حوذياً يوم وصلت بغداد ، أن يأخذني إلى ضاحية نزهة ، فقال :

— تروح باب شرجي ؟

فكدت أبطش به ، وما يريد إلا (الباب الشرقي) وهو من متنزهات بغداد .

وليسَ يجيء هذا الترجمان إلا من مدرسة ، فلابدّ لنا إن أقر المجمع اللغوي هذا الاقتراح من أن ندرّس هذه اللغات الشرقية الحية في مدارسنا الثانوية ، وننشئ لها قسما في كلية الآداب ، أو أقساماً لأن اللسان الشامي سيكون فيه لغات متعددات ، فلغة دمشق ليست لغة حلب ، وهي تخالفها في معاني المفردات ، وفي تركيب الجمل ، وفي طريقة النطق ، ولغة حلب غير لغة حمص ، ولغة حمص غير لغة حماة ، وكلها تخالف لغة دير الزور ، وهذه تخالف لغة البادية ، فصار عندنا في الشام لغات في كل منها لهجات ، فلهجة أهل دمشق غير لهجة أهل الغوطة ، ولهجة هؤلاء ليست لهجة جبل القلمون ، وفي القلمون عشرون لهجة تختلف اختلافاً بيناً ، وفي كل منها شعر ... وأدب ... إي والله وموسيقى ... وقس على ذلك ألسنة لبنان وفلسطين والعراق ومصر والسودان والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، واجمع هذه الألسنة بما فيها من اللغات واللهجات ، تجدها تحتاج إلى عشرة أساتذة لهم كراسي في الجامعة ، وتحتمل عشرة دبلومات ، يكتب صاحبها على بطاقته (فلان ، دبلوم اللغات العراقية) أو (دبلوم اللهجات اللبنانية) ... ودبلوم في أصول هذه اللغات ومصادرها ، ودبلوم في نحوها وصرفها المقارن .

وعندئذ يكون شكوكو من أمراء الشعر الذين تدرس آثارهم في الجامعة ، واسماعيل ياسين من أمراء النثر ، ويكون من تعبيرات النقد الجديد ، أن نقول للكاتب المقعد الذي لا يفهم « إنه يكتب بالعربي » كما يقال في أوربة عن الكاتب الفرنسي المحدث إذا أغرب وعقّد ، أنه يكتب باللاتيني .

وعندئذ ينشأ في كل لسان ، تراجمة يترجمون إليه الآثار العربية لتحفظ في المدارس ، ويربّى بها النشء على البلاغة كما ترجمت إلى الفرنسية آثار دانتي وفرجيل ، فتحفظ الطلاب في دمشق قول المتنبي ، مترجماً هكذا :

بين السياسة والأدب :

انجلترا فى مرآة حافظ

للشيخ محمد رجب البيومى

كشر الشر عن أنيابه ، وبدت بريطانيا للعالم أجمع فى صورة مخزية منكرة ، فهى تهدر على الملأ حقوق الإنسان ، وتئد الحرية القومية بما تستطيع من قوة وجبروت ، ولولا أن وجدت مصر من مجلس الأمن منبراً تذيع عليه فظائع الاستعمار ، وشنائع الاحتلال ، لالتبس الحق بالباطل الصراح وَلَوُجِدَ فى الناس من يغتر بتمويه إنجلترا الكاذب ، ويصدق ما تخلعه عن نفسها من حلل النزاهة والوفاء .

ولقد مددت يدى إلى ديوان حافظ إبراهيم لأطالع فى هذه الآونة الحرجة ما سبق أن هتف به شاعر النيل فى أذن هذه الدولة الصماء ، ولأشهد فى مرآة شعره صورتها الصادقة التى رسمها الشاعر الكبير ، ومما حمدت الله عليه أن وجدت هذه العجوز الشوهاء قد بدت كالحة عابسة تبعث فى النفس اشمئزازاً وفى الصدر انقباضاً حتى إنك لا تستطيع — مهما تجلدت — أن تديم النظر إليها بضع لحظات متواليات !!

والحق أن شاعر النيل كان ذا سلاح باتر ضرب به رقبة إنجلترا ضربات متلاحقة ، وشهره فى وجه الاستعمار مبارزاً مصاولا ، وما زال يواصل كفاحه الدائب ، ونضاله المستميت ، حتى تيقظ الشعور الهاجع ، وتنبه الإحساس الغافل ، فهبت مصر جميعها تثور للكرامة الذبيحة ، وتثأر للحرية الجريحة ، وهاهى ذى تواصل ثورتها الصاخبة فى قوة وإيمان حتى تنقشع السحب وتتبدد الظلمات .

أما كيف استطاع الشاعر أن يؤدى رسالته على وجهها الصحيح ، فهذا ما سأبسط أسبابه القراء فى جلاء ووضوح ...

* * *

نشأ حافظ رحمه الله تواقاً للأدب ، حريصاً على التحليق فى أجوائه الشاسعة . وكان البارودى قد نال من نباهة الذكر ، وبعد الصيت ما جعل شاعر النيل يتخذه مثلا أعلى فى الحياة ، ولئن كان سامى قد ركز بناء مجده على البلاغة والفروسية ، فإن حافظ يستطيع أن يملك زمام البيان باطلاعه المتواصل ، كما يقدر

على أدّ أهل العَزْم بتجى العزايمْ
وبتجى على أدّ الكرامْ المكارمْ

وقول شوقى فى الأزهر ، يصير :

أوم بَهْ الدنيه وسلِّم عَ الأزهر
ورشّ على ادْن الزمان الجُوهر[1]

بدلا من :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم   وتأتى على قدر الكرام المكارم

و :

قم فى فم الدنيا وحىّ الأزهرا   وانثر على سمع الزمان الجوهرا

ولا شك أن هذه الترجمة (أجدر أن تسترق القلوب) — كما قال الأستاذ أبو حديد بك فى تقريره .

وعندئذ تطبع الرسالة أربعة آلاف فقط ، وأخبار اليوم عشرة آلاف ، وينشأ فى كل بلدة جريدة صغيرة تنطق بلسان أهلها ، ولا يبعد أن تشتد الحماسة لهذه اللغات كما اشتدت بتركيا الجديدة الحماسة للسانها ، فيؤذن بها على المنائر ، ويخطب بها على المنابر ، ويترجم القرآن إلى كل واحدة منها .

وعندئذ لا تستطيع الدول العربية أن تجتمع فى جامعة ، ولا أن تتحد فى شعور ، ولا أن تسوق جيوشها إلى فلسطين موحدة القيادة ، لأن الصلة الوحيدة بينها هى هذه العربية ، فإن انقطعت لم يصل بينها شىء ، ولا الدين ، لأنها إن ذهبت العربية ذهب معها القرآن فلم يبق دين .

وبعد فلن يكون شىء من هذا ، ولو قال به المجمع (ولن يفعل) لما سمع منه أحد ، لمكان القرآن من هذه العربية ، ولأن الله تكفل بحفظ القرآن ، ولكنا أردنا أن نسلّى القراء فى أيام العيد التى لا عمل فيها يشغلهم كما أراد الأستاذ أبو حديد أن يسلّى أعضاء المجمع ، الذين جعل الله أيامهم كلها ... أعياداً ...

(القاهرة)   علي الطنطاوي

(١) هنا ... فإذا أخذ بالاقتراح الثانى ، وكتبناها بالحروف اللاتينية ؟

على الالتحاق بالمدرسة الحربية ليكون فارس الحومة، وقائد الكتيبة، ومن هنا ترك الشاعر المحاماة، والتحق بالمدرسة الحربية، وإن أمله ليصور إليه أنه سيكون فى يوم من الأيام خليفة لرب السيف والقلم محمود سامى البارودى !!

ظن حافظ أنه سيستفيد من المدرسة الجديدة استفادة يخدم بها وطنه المريض، ولكن صدره قد انقبض فى حسرة وغيظ إذ رأى بعينيه أن المستر براين الإنكليزى قد صفد المدرسة بأغلال وثيقة من الذل والعبودية، فلا يدرس بها غير التمرينات الآلية التى لا تنشىء جيشاً، ولا ترفع أمة، أضف إلى ذلك ما كان يبديه القائم بأعمال المدرسة من ازدراء بالغ للعقلية المصرية واحتقار شديد للطلبة المنتسبين، مما جعل الشاعر يؤمن فى قرارة نفسه — عن مشاهدة شخصية — أن الإنجليز جميعاً من هذا الطراز الدخيل، فهم يضمرون السوء للشعب، ويهوون به إلى أسفل دركات الانحطاط .

خرج حافظ من المدرسة بعد انتهاء سنواتها التعليمية ثائراً ناقماً، وما ظنك بشاعر مرهف الإحساس، يرى أعداءه الألداء يتحكمون فى أمته أبشع تحكم، والشعب سادر فى غفلته فلا يكاد يفكر فى إزالة الكابوس الجاثم فوق صدره ؟ وكأن الظروف التى جمت حافظاً بفريق من المستعمرين فى المدرسة الحربية قد هيأت له أن يعيش فى جوهم المريض مرة ثانية، فقد سافر إلى السودان فى الحملة العسكرية التى ذهبت من مصر بقيادة اللورد كتشنر لاسترجاعه من أيدى الثائرين، وكان فى النهاية ما خاف حافظ أن يكون، فقد اهتبلت إنجلترا الفرصة، ورفعت علمها الإنجليزى مع العلم المصرى على مدينة الخرطوم، ومن ثم بدأ الشاعر يخط الصحيفة الأولى فى كتاب نضاله السياسى فقد أرسل اللحن الأول من قيثارته الحزينة، يندد بخيانة الإنجليز وينبه الشعب المصرى إلى ما يهدده من الخطر الداهم بعد استلاب السودان، وذلك إذ يقول

رويدك حتى يخفق العلمان ونتظر ما يجرى به الفتيان
فما مصر كالسودان لقمة جائع ولكنها مرهونة لأوان
أرى مصر والسودان والهند واحداً
بها اللورد والفيكنت يستبقان
وأكبر ظنى أن يوم جلائهم ويوم نشور الخلق مقترنان

وطبيعى أن يبث الشعور الوطنى فى زملائه الضباط، فيؤلف منهم زمرة تناوىء الغاصبين، وتتمرد على قيادتهم الغاشمة. ولم يلبث كتشنر أن وقف على حركته الوطنية، فتربص به الدوائر، ونصب له المكايد الخاتلة، وإذ ذاك لجأ الشاعر إلى أستاذه الإمام، فكتب إليه من خطاب طويل « ولقد قعدت همة النجمين، وقصرت يد الجديدين، عن إزالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد (يريد كتشنر) فقد نما ضب ضغنه على، وبدرت بوادر السوء منه إلى فأصبحت كاسر العدو وساء الحميم ... »

وكأن الله عز وجل قد أراد الخلاص للشاعر من أقرب طريق فأحيل إلى الاستيداع، وغادر الخرطوم إلى القاهرة، بعد أن ثكل وظيفته الحكومية وضاقت سبل العيش فى وجهه، ولم يرغير الشعر صديقاً وفياً، يبثه نجواه، ويستطلعه خبيئة سره إذ يقول :

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما وعدت وما أعقبت إلا التندما
لحا الله عهد القاسطين الذى به تهدم من بنياننا ما تهدما
إذا شئت أن تلقى السعادة بينهم فلا تك مصرياً ولا تك مسلما
سلام على الدنيا سلام مودع رأى فى ظلام القبر أنساً ومغنما

وواضح أن اختلاط الشاعر بالمحتلين فترتين متعاقبتين قد حول صدره أتونا ملتهباً يشتعل بالغيظ، فهو وحده بين شعرائنا السياسيين، قد لمس عن كثب شنائع الاحتلال، ولكنه اضطر مرغما أن يكبت عواطفه — وقتاما — غب قدومه إلى القاهرة كيلا يقف المعتمد البريطانى فى وجهه وهو يبحث عن عمل حكومى يرتزق منه ؛ وأنى للشاعر أن يصبر على الضيم والذلة، والشعب فى شر حاله، تنتهب أمواله، وتغتصب خيراته، فلا أقل إذن من أن يواسيه بعزاء دامع يفصح عن إحساسه، وينطق عن شعوره، كأن يقول :

أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشى على أرض من الذهب
والقوم فى مصر كالإسفنج قد ظفرت
بالماء لم يتركوا ضرعاً لمحتلب
فقد غدت مصر فى حال إذا ذكرت
جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطب
إذا نطقت فقاع السجن متكأ وإن سكت فإن النفس لم تطب

وقد رأى حافظ أن يتوجه فى محنته إلى الخديوى، فيخلع عليه برودا ضافية من مديحه الرائع عسى أن ينقذه من وهدة التعطل والبطالة، ولكن مدائحه الرنانة قد تلاشت فى مهب

الريح ، ومضى الشاعر يطرق أبواب العمل باباً باباً ، والأيام تمر ثقيلة بطيئة فى غير طائل ، والحاجة ماسة والحظ شحيح !!

ويشاء الله أن ييأس من العمل الحكومى يأساً تاماً ، فينقلب إلى ثائر هائج ، يحارب الاستعمار بما فى يراعه من قوة وبيان ، وهنا تئن القيثارة الحزينة ، فتهز الأوتار هزاً عنيفاً ، وتخرج الصحف على الشعب ملتهبة بزفرات حافظ ، فلا تكاد تمر بها الأعين القارئة ، حتى تشعل جمر الغضب فى الصدور ، وينظر القراء فيجدون مشاعرهم الكظيمة مبسوطة فى شعر حافظ السياسى ، فيتغنون به فى مجالسهم . وينشدونه فى الغدو والرواح حتى أيقظ الهمم النائمة ، وأضاء العقول الدامسة ، فهب الشعب يؤدى واجبه الوطنى — إزاء الغاصبين — بقدر ما يستطيع

على أن حافظاً كان يلمح بصيص الأمل يلوح له فى الاعتصام بحبل الدولة العثمانية ، فهى المملكة الإسلامية التى تتجه إليها أنظار المخلصين من أبناء العقيدة المحمدية ، ومهما قيل عن بنى الخلفاء فهم أهون بكثير من أعداء اللغة والدين والوطن ، لذلك كان الشاعر يمدح سلاطين تركيا بوازع من دينه وعقيدته ، ويشيد بتاريخهم المديد كيلا ينخدع الشعب بدعاية بريطانيا الجوفاء ثم هو فى مديحه لآل عثمان يقصد دائماً إلى هدفه الأصيل ، فينبه الخليفة إلى أفاعى الغرب الخاتلة ، ويحذر الشرق من الاستكانة والخنوع ، كأن يقول فى عيد تأسيس الدولة العلية .

فياشرق إن الغرب إن لان أو قسا ... ففيه من الصهباء طبع مذوب
تخف بأسها فى الرأس والرأس تصطلى ... وخف ضعفها فى الكأس والكأس تطرب
ويا غرب إن الدهر يطفو بأهله ... ويطويه تيار القضاء فيرسب
أراك مقر الطامعين كأنما ... على كل عرش من عروشك أشعب

وإذا كان مصطفى كامل قد اتخذ من حادثة دنشواى دليلا قويا يستند إليه فى كفاحه خارج مصر ، فإن شاعر النيل قد شهر هذا السلاح بعينه ليحارب به الأعداء فى الداخل . فقد نظم قصائد عديدة مال فيها إلى السلاسة والوضوح . ليفهمها الشعب المصرى عن بكرة أبيه ، وقد مثل فيها المأساة الدامية تمثيلا يستدر الدموع ويشعل الأفئدة ، ودونك بعض ما يقول :

حسبوا النفوس من الحمام بديلة ... فتسابقوا فى صيدهن وصوبوا
والمستشار مفاخر برجاله ... ومماجز ومناجز ومخرب
يختال فى أنحائها متبسما ... والدمع حول ركابه يتصبب
رفقاً عميد الدولتين بأمة ... ضاق الرجاء بها وعز المطلب
إن أرهقوا صيادكم فلعلهم ... للقوت لا للمسلمين تعصبوا
جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا ... بحبال من جلدوا ولم يتهيبوا
شنقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا ... بلظى سياط الجالدين ورحبوا
أو كلما باح الحزين بأنة ... أمست إلى معنى التعصب تنسب
طاحوا بأربعة فأردوا خامساً ... هو خير ما يرجو العميد ويطلب
حب يحاول غرسه فى أنفس ... يجنى بمغرسها الثناء الطيب

ولقد كان لهذه القصيدة دوى هائل فى المجتمع المصرى ، فقد عارضها كثير من الشعراء ، وبرزت المقالات السياسية مشتملة بزفرات من أبياتها الدامعة ، مما شجع شاعر النيل على المضى فى سبيله ، فوقف لكروم الطاغية بالمرصاد يحاسبه الحساب العسير فى قواف تصرخ من الألم والرعب ، وما كاد اللورد يصدر تقريره الخادع عما قدمه للأمة المصرية من إصلاح ورفاهية ، ليبدو فى صورة المنظم البرىء حتى هجم الشاعر على هرائه الكاذب ، فنفده بأسلوبه الرائع وصاح فى وجهه يقول :

تمن علينا اليوم أن أخصب الثرى ... وأن أصبح المصرى حراً منعما
إذا أخصبت أرض وأجدب أهلها ... فلا أطلعت نبتاً ولا جادها السما
عملتم على عز الجماد وذلنا ... فأغليتمو طيناً وأرخصتمو دما
نهش إلى الدينار حتى إذا مشى ... به ربه فى السوق ألفاه درهما
لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت ... حواشيه حتى صار ظلماً منظما

وبعد لأى رأت الحكومة البريطانية أن تدهن الشعب المصرى فاستدعت جبارها العنيد إلى غير رجعة ، وهب حافظ يشيعه بقصيدة فاضحة ، فصلت آثامه المخزية واحدة وراء واحدة حتى ليجوز للمؤرخ المنصف أن يذكرها وحدها كسجل حافل بآثام المعتمد البريطانى ، فقد تعرض فيها الشاعر إلى مواقف كروم العدائية من الدين الإسلامى ، ومناصرته للحركة التبشيرية المسيحية ، ثم دلف إلى الشركات الأجنبية التى بثها اللورد فى مختلف الجهات الأجنبية ، تمتص الدماء ، وتستنزف القوى ،

٤ — مدى النقص فى هيئة الأمم المتحدة :

بوليس الأمن الدولى

تثور مشكلة الجزاء بوجه عام فى دراسة القانون بفروعه المختلفة ، ولكنها تتخذ صورة خاصة دقيقة إذا ما نظرنا إليها من ناحية القانون الدولى العام حيث تنافرت الآراء حول وجود جزاء له أو عدم وجوده ويتبع ذلك إنكار الصفة القانونية على هذا القانون أو إثباتها له . . . غير أن أغلب الفقهاء يعتقدون بحق أن القانون الدولى له كل مقومات القوانين ومميزاتها وإن كان لا يزال ضعيف الجزاء .

وقبل أن يولد ميثاق سان فرنسيسكو .. كانت أقصى مرحلة من التهذيب وصلتها الجزاءات الدولية — وذلك غير الحرب طبعاً — ما نصت عليه المادة السادسة عشرة من عهد عصبة الأمم البائدة ، وهى قائمة بمفردها تتناول فى أغلبها الجزاءات الاقتصادية وتشير إلى الجزاءات العسكرية باقتضاب دون تفصيل أو إيضاح .

ويعزو بعض الكتاب انهيار العصبة إلى عدم الالتفات جيداً إلى اللون العسكرى من الجزاءات وهذا النقص الأخير قد تداركه ميثاق هيئة الأمم المتحدة وفصله تفصيلا فى أكثر من مادة .

لقد قلنا إن لمجلس الأمن اختصاصين : الأول منهما يتعلق بحفظ السلم والأمن الدولى ويختص الثانى بالأحوال التى يقع فيها تهديد للسلم أو اخلال به أو حصول عدوان معين وهذه الأحوال التى تدخل فى الاختصاص الثانى ليس لها صفات معينة أو حدود تقف عندها ، بل إن مجلس الأمن له مطلق الحرية فى تقرير هذه الحالات الخطيرة (انظر المادة ٣٩) وترتيب الجزاءات لها .

ويمكن القول بأن الجزاءات المنصوص عليها فى الميثاق تتفاوت فى الشدة والطبيعة فهناك ما يسمى بالتدابير المؤقتة (المادة ٤٠) ويوضحها الميثاق بقوله : إنه منعاً لتفاقم الموقف لمجلس الأمن قبل تقديم توصيات أو اتخاذ التدابير المنصوص عنها فى المادة التاسعة والثلاثين ... أن يدعو المتنازعين للأخذ بما يراه ضرورياً

وندد بمجلس الشورى الذى أراد كرومر تكوينه من الأجانب والمصريين معاً ، ولم يفته أن يعرج على الأصنام المصرية التى اتخذها العميد وزراء للدولة فكانت رهن إشارته وقيد رغبته ، كما بكى اللغة العربية التى طعنها اللورد فى الصميم حين قرر دراسة العلوم المدرسية بلغته الدخيلة ، وقد عرف كيف يتهكم بالفرعون الغاشم حيث قال فى وداعه :

فلم أر الأهرام بالنيل ميِّداً ... وفرعون عن واديك مرتحل غدا
فودع لنا الطود الذى كان شامخاً ... وشيع لنا البحر الذى كان مزبدا
لقد حان توديع العميد وإنه ... حقيق بتشييع المحبين والعدا
سنطوى أياديك التى قد أفضتها ... علينا فلسنا أمة تجحد اليدا

وفى رأيى أن هذه القصيدة التاريخية قد فاقت قصيدة شوق فى وداع العميد ، لأن شاعر القصر لم ينطق عن شعور وطنى دفاق وإنما غضب لولى نعمته حين هاجمه اللورد فى حفلة وداعه ، فنحت أبياته نحتاً ، وأنت تقرأ ما نسجه أمير الشعراء فلا تحس بهذه اللوعة المتأججة فى شعر حافظ ، بل تجد شاعر القصر قد نسى الغرض الأصيل من القصيدة ، فلم يطنب فيه أطناب شاعر النيل وإنما حرص كل الحرص على أن يندد فى مطلع كلامه بما اقترفه اللورد فى حفلة الوداع فقال :

أوسعتنا يوم الوداع إهانة ... أدب لعمرك لا يصيب مثيلا
فى ملعب للمضحكات مشيد ... مثلت فيه المبكيات فصولا
شهد الحسين عليه لعن أصوله ... وتصدر الأعمى به تطفيلا
هلا بدا لك أن تجامل بعد ما ... صاغ الرئيس لك الثنا إكليلا

ومهما يكن من شىء فإن نشأة شوقى الأولى قد باعدت كثيراً بينه وبين واجبه الأقدس . بل قد ورطته أسوء توريط فيما ينبغى أن يبتعد عنه ؛ فقد هجا زعيم الثورة العرابية المفترى عليه لحاجة فى نفسه ، وأحجم عن رثاء أستاذه البارودى ، كما لاذ بالصمت المريب إزاء فجيعة دنشواى ، مع أنها زلزلت العالم أجمع بدويها الرنان ، والأبيات القليلة المذكورة فى الجزء الأول من الشوقيات عن هذه المأساة ، قد قيلت بعد رحيل اللورد كرومر ، وانقضاء عام كامل ، جفت فيه الدماء ، وانقطع الدوى ، وتحدث الناس جميعاً بأن أمير الشعراء مقصر كل التقصير ! !

(البقية فى العدد القادم)

محمد رجب البيومى

أو مستحسناً من تدابير مؤقتة ، ولا تخلو هذه التدابير المؤقتة بحقوق المتنازعين ومطالبهم أو بمراكزهم ، وعلى مجلس الأمن أن يحسب لعدم أخذ المتنازعين بهذه التدابير المؤقتة حسابه .

وهناك الجزاءات غير العسكرية (المادة ٤١) وعندها يقرر مجلس الأمن ما يجب اتخاذه من التدابير التي لا تتطلب استخدام القوات المسلحة لتنفيذ قراراته وله أن يطالب إلى أعضاء الأمم المتحدة تطبيق هذه التدابير ويجوز أن يكون من بينها وقف الصلات الاقتصادية والمواصلات الحديدية والبحرية والجوية والبريدية والبرقية واللاسلكية وغيرها من المواصلات وقفاً جزئياً أو كلياً كما تقطع العلاقات الدبلوماسية .

وأما الجزاءات العسكرية (م ٤٢) فقد نص عليها الميثاق بأنه إذا رأى مجلس الأمن أن الجزاءات غير العسكرية لا تفي بالغرض أو ثبت أنها لم تف به جاز له أن يتخذ بطريق القوات الجوية والبحرية والبرية من الأعمال ما يلزم لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه ، ويجوز أن تتناول هذه الأعمال المظاهرات والحصر والعمليات الأخرى بطريق القوات البرية والجوية والبحرية التابعة لأعضاء هيئة الأمم المتحدة وهذه القوات هي « بوليس الأمن الدولي »

وأما تكوين بوليس الأمن وتنظيمه فقد فصل ذلك الميثاق (م ٤٣) بأنه في سبيل المساهمة في حفظ السلم والأمن الدولي يتعهد جميع أعضاء هيئة الأمم المتحدة بأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن بناء على طلبه وطبقاً لاتفاقات خاصة ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي وتحدد تلك الاتفاقات عدد هذه القوات وأنواعها ومدى استعدادها وأماكنها عموماً ونوع التسهيلات والمساعدات التي تقدم . كما قضى (م ٤٧) بتشكيل لجنة من أركان الحرب تكون مهمتها أن تسدي المشورة والمعونة إلى مجلس الأمن وتعاونه في جميع المسائل المتصلة بما يلزمه من حاجات حربية واستخدام القوات الموضوعة تحت تصرفه وقيادتها ...

ولما كان هذا التنظيم يستغرق وقتاً طويلا لكي يوجد . فقد نص الميثاق (م ١٠٦) على أن الدول الخمس الكبرى تقوم بالنيابة عن الهيئة بالأعمال المشتركة التي قد تلزم لحفظ السلم والأمن الدولي في فترة الانتقال أي إلى أن يتولى مجلس الأمن تبعاته ...

لقد قدمنا أن حق الاعتراض(١) هو السائد في جميع أعمال مجلس الأمن بنوعيها ، ورأينا كيف استعملته الكتلتان: الشرقية والغربية أسوأ استعمال متوخية مصالحها وشهواتها في كل ما يدخل في الاختصاص الأول المتعلق بحفظ السلم والامن الدولي وناقشنا اقتراح مارشال الذي كان بمثابة رد فعل لهذا الاستعمال السيء . . والآن يستطيع القارىء أن يستنتج مصير الاختصاص الثاني للمجلس الذي لن يكون أحسن حالا من سابقه ما دام هناك « الفيتو » وسوء تطبيقه ... ويمكننا أن نقول بملء الفم إن النصوص التي تقتطع جانباً خطيراً من الميثاق والتي تتعلق بمسألة الجزاءات . . قد حكم عليها بالعدم والموت . ففي فترة الانتقال هذه لم تتفق كلمة الدول الخمس الكبرى على فض أي نزاع أو عدوان يخل بالأمن الدولي . وليس ذلك راجعاً لندرة العدوان أو التهديدات الدولية بل يرجع قبل كل شيء إلى الخلاف الناشب بين المعسكرين المعروفين . والمثل البارز لذلك في مسألتي البلقان وأندونيسيا . .

ولندع فترة الانتقال وننظر فيما بعدها .. هل نظمت هيئة الأمم حقاً قواتها ؟ وهل عقدت تلك الاتفاقات التي تحدد هذا التنظيم ؟ ثم ما حال لجنة أركان الحرب الدولية .. أين هي؟.

والجواب عن كل ذلك حاضر يبعث على الأسف : لم يحدث شيء ، ولن يكون شيء ما دام هذا النزاع المصلحي قائماً بين الدول يدعي كل فريق أن حق الاعتراض عقبة كبيرة في سبيل التنفيذ ، ولكن الحقيقة أن الأهواء والشهوات هي أصل الداء ، فهي التي جرت إلى اساءة استعمال هذا الحق بل هي التي خلقته ودفعته إلى الوجود وما كنا في حاجة لمثله . .

إن بوليس الأمن الدولي جيش فوق الجيوش ، وقوة عظيمة تجب جميع القوى وكان أمل الشعوب الصغيرة فيه كبيراً ، لأنه سندها ودرعها في نضالها ضد اضطهاد الدول المستعمرة الظالمة ، وليس غريباً أن تنشر الصحف نبأ النصيحة التي قدمها مسيو تريجفلي سكرتير هيئة الأمم لرئيس وزراء مصر حين تقرر نهائياً

(١) انظر الرسالة العدد ٧٤٤

عرض القضية على مجلس الأمن .. فقد ذكرت أنه أشار عليه بالتريث حتى تتكون قوة بوليس الأمن الدولى .

على أية حال ليس أمامنا سوى الأسف العميق نقابل به مثل هذه الأمور المحزنة ولعله من المفيد أن نذكر شيئاً عن مشروع أمريكى للدفاع المشترك قيل إنه يغنى مؤقتاً عن البوليس الدولى . فقد روت الأنباء أن وفد أمريكا فى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة قد أعد مشروعاً بمعاهدة للدفاع المتبادل تسندها قوات الدول الموقعة وسيعرض الوفد هذا المشروع على الجمعية العمومية . وهذه المعاهدة المقترحة يمكن أن تتمخض عن إنشاء قوة بوليس دولية لحماية اليونان فى القريب العاجل من اعتداء يوغوسلافيا وألبانيا وبلغاريا عليها كما أنها تتمشى مع الميثاق وتخضع لمادة معينة منه (م ٥١) تشير إلى أن للدول الحق فى الدفاع الفردى أو الجماعى إذا وقع هجوم مسلح على دولة من أعضاء هيئة الأمم وذلك إلى أن يتسنى لمجلس الأمن اتخاذ التدابير الضرورية للمحافظة على السلام والأمن الدوليين ، ومن شروط هذا الاقتراح الأمريكى أن هذه المعاهدة مفتوحة لكل دولة من أعضاء هيئة الأمم تريد توقيعها بما فى ذلك روسيا ولكنها تصبح نافذة فى القريب العاجل سواء وقعتها روسيا والدول المرتبطة بها أو لم توقعها ، ولن يكون تنفيذ هذه المعاهدة بما فى ذلك استخدام القوات المسلحة للدول الموقعة موضوعاً خاضعاً لحق الدول الكبرى فى الاعتراض — الفيتو — وتقول المصادر الأمريكية أن هذه المعاهدة تهدف إلى التغلب على عقبتين فى سبيل المحافظة على السلام فى اليونان وغيرها :

أولا : استخدام روسيا لحقها فى الاعتراض على أية محاولة لحماية اليونان من عدوان جيرانها فى الشمال .

وثانياً : العوائق التى يضعها الوفد السوفيتى فى سبيل اتمام اتفاقات حربية بين هيئة الأمم المتحدة والدول الأعضاء بينما كان المأمول أن تنشأ قوة بوليس دولية لتنفيذ قرارات هيئة الأمم .

ويشبه مشروع هذه المعاهدة بروتوكول جنيف فى سنة ١٩٢٤ الذى كان يهدف إلى تقوية عصبة الأمم ويبرر العمل الجماعى ضد العدوان تمشياً مع روح ميثاق العصبة .

هذا هو المشروع الأمريكى الذى لم يطرح بعد على بساط البحث ، ورأينا فيه أنه — كما هو واضح — موجه ضد الكتلة الشرقية وقد أملته روح التحدى والعداء وكان الأجدر بأمريكا أن تتمسك بنصوص الميثاق بدلا من أن تهدرها وتستبدل بها مشروعات أخرى لن تكون خيراً منها أو أكثر اتساقاً مع الغرض من قيامها ثم إن هذه المعاهدة الدفاعية تدعو للتساؤل : فهى دفاعية ضد من ؟ لا بد لوجود الدفاع من هجوم .. فضد من يوجه هذا الدفاع . . . إن كانت دول العالم أجمع ستنضم إلى المعاهدة ؟

والظاهر أن الكتلة الغربية تعلم مقدماً أن مشروعها لن يجوز رضا من الكتلة الشرقية ، ولهذا جعلت المعاهدة مفتوحة للانضمام ، والغالب أن الدول الموقعة ستكون سياستها موافقة لأهواء الكتلة الأولى ومناهضة للثانية الأمر الذى يؤكد فى الذهن أن هذا المشروع ليس وليد الإيمان الخالص بخير الإنسانية وتقديس المعانى السامية لذاتها . . . وقد نفذت الولايات المتحدة مشروعها المقترح تنفيذاً جزئياً فى نصف الكرة الغربى حين عقدت معاهدة الدفاع المشترك بين دول الأمريكيتين فى الأسابيع القليلة الماضية . وبعد : فإن حق الاعتراض يجب أن يلغى ، وأن تزيد الثقة المتبادلة بين الدول ، وتعود للمثل العليا قيمتها واعتبارها ، وأن نؤمن من جديد بالعدالة والحرية والمساواة ..

يجب أن تختفى من السطور كلمات الحرب والحياد ، فالجراح التى خلفتها الحرب لم تلتئم ، والمداد الذى كتب به الميثاق لم يجف بعد ...

إننا نخشى على مولود سان فرنسيسكو أن يلحق بفقيد الأطلنطى .. ! !

عبد الحميد عثمان عبد المجيد
كلية الحقوق

مبادئ مالية في الاسلام

للأستاذ لبيب السعيد

١ — الإسلام دين ودولة ، فهو إذ يشرع لأهله ما يبلغهم السعادة الأخروية ، يعنى كذلك بمصالحهم الدينوية ، ويقرر لها نظما يهدف بها إلى إتاحة الرفاهية قدر المستطاع لكل منهم ، وتحقيق القوة والسيادة لمجوعهم .

٢ — والمال عصب الحياة ، والشريعة الإسلامية واقعية ، ولذلك أقامت للمال الموازين : عرفت كيف زين للناس حبه ، فتكاثروا به ، وتقاتلوا في سبيله ، فالتفتت إلى الطامنة من هذا الحب ، وأخذت من فضل هذا لتعالج عدم ذاك ، محققة لكليهما الخير المنوى والمادى[1] وعرفت أن القوة والمنعة والأمن لا تقوم إلا على دعامة من المال ، فجعلت لولى الأمر حقا معلوما في مال كل ذى مال لتقيم به هذه الدعامة .

فرضت الشريعة على الفرد عدة واجبات مالية ليس من همنا الآن تناولها بالبيان الوافى ، ولكننا نعرض بحسب ما يتعلق بها من مبادئ رئيسية ، غير مقتحمين ما للفقهاء فيها من تفاصيل .

٣ — التزم الإسلام العدل الأوفى في فرض هذه الواجبات فهو في وضع الخراج مثلا يوجب مراعاة جودة الأرض واختلاف أنواع زرعها وما تسقى به[2] . . .

وهو ينظر من أعسر بخراجه[3]

والجزية التى يفرضها على أهل الذمة هى من الاعتدال بحيث لا تبلغ إلا سبع ما كان يفرضه الرومان مثلا على الأمم التى أخضعوها[4] . وفوق هذا ، فهو يرعى حال من تفرض عليه الجزية إذا كان موسرا أو وسطا أو فقيرا معتملا[5] . ويميز بين أرباب المهن المختلفة ، فالصيرفى والبزاز وصاحب الصنعة والتاجر والطبيب ومن إليهم غير الخياط والصباغ والجزار والإسكاف ومن أشبههم[1] ...

وهو لا يوجب الجزية على امرأة ولا صبى[2] ، كما يعفى منها الأعمى والزمن والمفلوج والشيخ الكبير الفانى ولو كانوا موسرين وبعضهم عن أصحاب الصوامع إلا إذا كانوا من الأغنياء[3] .

والمبدأ المقرر لدى فقهاء المسلمين أنه « لا يضرب أحد من أهل الذمة فى استيدائهم الجزية ، ولا يقامون فى الشمس ولا غيرها ولا يجعل عليهم فى أبدانهم شيء من المكاره ، ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يؤدوا ما عليهم[4] .

والاسلام يشترط للزكاة نصابا معينا فى كل صنف وجبت فيه ، وهو ينظر إلى ناقص الملك نظرة خاصة رحيمة ، ويسقط — على الأرجح — الزكاة عن المديان .

وهو ينكر على الفرد أن يأتى بما يملك فيقول هذه صدقة ، ثم يقعد يتكفف الناس ؛ يمدح القرآن أناسا فيقول : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »[5]

ونبى الإسلام يقدر ما يحيط بالمالك من ظروف لها اعتبارها عند تقدير الزكاة المطلوبة ، فهو يقول للعمال الذين ولاهم على خرص الثمار — وهو الحزر والتخمين لتقدير الزكاة قبل الإثمار ولأمن الخيانة من رب المال — يقول لهم : « خففوا الخرص ، فإن فى المال الوصية (أى ما يوصى به أربابها بعد الوفاة) والعرية (أى مايعرى للصلات فى الحياة) والواطئة (أى ما تأكله السابلة منه ، سموا واطئة لوطئهم الأرض) والنائبة (أى ما ينوب الثمار من الجوائح) »[6] .

وكذلك فى شأن الخراج ، تذهب الشريعة إلى أن لا يستقصى فى وضعه غاية ما تحتمله الأرض لتجعل لأربابها بقية يجبرون بها النوائب والجوائح[7] .

(١) أنظر تفسير الفخر الرازى ج ٤ ص ٤٥٣ — ٤٦١ ، فقد أفاض فى هذا إفاضة نافعة .
(٢) الأحكام السلطانية لأبى يعلى الفراء ص ١٥١ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) النظم الاسلامية لحسن وعلى إبراهيم ص ٢٧٥ .
(٥) أحكام القرآن للرازى ج ٣ ص ٩٦ .

(١) الخراج لأبى يوسف ص ٦٩ — ٧٢ .
(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٣٩ .
(٣) أحكام القرآن للرازى ج ٣ ص ٩٦ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج ٨ ص ١٠٩ .
(٤) النظم الاسلامية ص ٢٧٦ .
(٥) سورة الفرقان — ٦٨ .
(٦) أبو يعلى ص ١٠٤ .
(٧) المصدر نفسه ص ١٦٢ .

٤ — ويقترن بذلك العدل حزم » فى التنفيذ لا هوادة فيه ، ودقة فى القواعد لا تدع سبيلا إلى العبث أو التحايل .

فمن مطل بالخراج ، مع يساره ، حبس ، إلا أن يكون له مال فيباع عليه فى خراجه كالديون[١] .

والأرض التى يمكن زرعها يؤخذ عنها الخراج وإن لم تزرع ، وإذا عجز رب الأرض عن عمارتها طلب إليه أن يؤجرها أو يرفع يده عنها ليتولاها من يقوم بعمارتها . ونذكر على سبيل الاستطراد أن الشريعة تأبى ترك الأرض على خرابها وإن دفع خراجها[٢]

ومن منع الزكاة فلوالى الصدقات أن يقاتله كما قاتل أبو بكر ما نعى الزكاة ، بل لقد ذهبت طائفة إلى تكفيره[٣]

والكتاب والسنة ينصان على فداحة إثم مانع الزكاة ، وقد تبرأ منه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله فى سياق حديث : « لا أملك لك من الله شيئاً » ، وذلك — كما يقول ابن حجر — مؤذن بانقطاع رجائه[٤] ثم الشريعة تثنى على مؤتى المال على حبه ، وترغبه فى ذلك ما وسعها الترغيب ، وتمده فى الدنيا والآخرة أحسن الوعود وأبعدها مدى فى نفسه .

وإذا مات من عليه الزكاة بعد وجوبها عليه فإنها تخرج من رأس ماله[٥]

ومن باع ثمرة طابت فعليه زكاتها ، ومن جز زرعه فراراً من الزكاة لم تسقط[٦] .

والتمليك ركن من الزكاة ، فلا يجوز صرفها فى بناء مسجد أو حج أو إصلاح طرق أو نحو ذلك[٧] .

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب زكاة الفطر على كل مسلم ولو كان جنيناً فى بطن أمه ، وإلى وجوب تزكية السيد عن رقيقه مؤمناً كان أو كافراً للتجارة أو لغير تجارة[٨] .

والشريعة توجب الإنفاق من الطيبات وتنهى عن تيمم الخبيث

(١) أبو يعلى ص ١٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٣ و ١٥٦ .
(٣) بداية المجتهد لابن رشد ص ١٣٢ .
(٤) فتح البارى ج ٣ ص ١٧٢ .
(٥) أنظر التفاصيل فى أبى يعلى ص ١٣١
(٦) أبو يعلى ص ١٠٧ .
(٧) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٥٠٢ .
(٨) المحلى لأبى محمد بن حزم ج ٦ ص ١١٨ و ١٣٢ .

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه ، واعلموا أن الله غنى حميد »[١] ويقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[٢]

٥ — والأموال التى تدفع يقصد بها دائماً الصالح الأعلى للأمة ، والإسلام يتحرى مصارف هذه الأموال أشد التحرى :

فالصلة التى لا تعود بمصلحة على الأمة لا تكون من مالها ، بل تكون من المال الخاص لمن يدفعها[٣] ؛ قال الماوردى : وكان مما نقمه الناس على عثمان أن جعل الصلات من مال الفيء ولم ير الفرق بين الأمرين .

ولا يصح أن يدفع المرء زكاته إلى من تجب عليه نفقته ، ولو أن دفعها فى غيرهم من الأرحام أفضل لأنها تكون صدقة وصلة[٤] .

ويستحب الفقهاء أن لا تنقل الصدقة من بلد المزكى إلى بلد آخر ، لأن « أعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى أموالها ، هذا ، مع عدم رؤية الفقهاء بأساً من الصرف على الغرباء فى البلدة »[٥] .

والعشور — وهى شبيهة بما نسميه الآن الضرائب الجمركية — مقصور بها صالح الأمة الإسلامية ذاتها ، فللامام — على مذهب الشافعى — أن يزيد فى المأخوذ عن العشر أو أن ينقص عنه إلى نصف العشر أو أن يرفع العشور كلها عن البضاعة إذا رأى المصلحة فى شىء غير ذلك . والإسلام يقدر أن فرض العشور قد ينقص من واردات بلاد المسلمين فيضارون ولذلك رأى أن لا يزيد أخذ العشور من كل قادم بالتجارة على مرة واحدة فى كل سنة ولو تكرر قدومه إلا أن يقع التراضى على غير ذلك[٦] .

٦ — والشريعة الإسلامية مع تدقيقها فى استيفاء حقوقها المالية على الأفراد ، تحفل بضمائرهم ، وتدعو ولى الأمر إلى الثقة بهم :

(١) البقرة — ٢٦٧
(٢) آل عمران — ٩٢ .
(٣) أبو يعلى ص ١٢٣ .
(٤) نفس المصدر ص ١١٨ .
(٥) نفس المصدر ص ٩٩ والإحياء للغزالى ج ١ ص ١٩٢
(٦) النظم الاسلامية ص ٢٨٥ .

فليس لوالى الصدقات أن يسأل أو يبحث عن شيء ليس تحت نظره ، وإنما عليه أن يأخذ مما يجد ، مما تجب فيه الصدقة[١].

ويلزم رب المال فيما بينه وبين الله سبحانه باخراج ما أسقطه من أصل الزكاة أو ما تركه الوالى من زيادة[٢] .

٧ — والإسلام لا يجب أن يجد السلطان Soweraincté باسم الشرع ذريعة لإغرام أى فرد مالا بغير حق ، فيقول الرسول صراحة : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام »[٣] ، فعلم أنه لا يحل إغرام مسلم شيئاً بغير نص صحيح[٤] .

٨ — والإسلام يصون لمستحقى الزكاة كرامتهم وإنسانيتهم ويأبى أن تذل نفوسهم ، فهو يرغب فى صدقة السر ، ويقرر بطلان الصدقات التى يعقبها المن والأذى ، يقول تعالى فى الصدقات « وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم »[٥] ، ويقول سبحانه : « لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى »[٦] ، ويقول نبى الإسلام : « لا يقبل الله صدقة منان »[٧] .

وهو فضلا عن هذا يعتبر من يأخذ الزكاة صاحب حق فى مال الغنى ، وصاحب الحق إذا تقاضى حقه تقاضاه غير مغض نظره ولا حانياً عوده ؛ قال تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »[٨] .

٩ — والشريعة تعين للزكاة مصرفاً يجمع سائر الأبواب التى يتعين الإنفاق فيها لصالح الفرد والجماعة والدولة والدين ، والتى يستريح للانفاق فيها ضمير المزكى . قال تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

وهذه الأبواب جميعها ظاهرة الحكمة ، وفيها تكافل وتعاطف ناسمان ، وفيها تأييد عملى حازم لمبادىء الحرية والإخاء والمساواة ، وفيها رفق عال وتقدير للمجاهدين وحفظ لمجد الدولة .

(١) أبو يعلى ص ١٠٧ .
(٢) أبو يعلى ص ١١٠ .
(٣) من خطبته فى حجة الوداع
(٤) المحلى جـ ٦ ص ١١٧ .
(٥) البقرة — ٢٧١ .
(٦) البقرة — ٢٦٤ .
(٧) نقلا عن الاحياء للغزالى جـ ١ ص ١٩٣
(٨) الذاريات — ١٩ .

وربما كان جديراً بالذكر أن الغزالى يحبب أن يطلب المتصدق لصدقته من تزكو بهم الصدقة ، وهم عنده المتجردون للآخرة ، وأهل العلم ، والصادقون فى تقواهم ، والمخفون حاجتهم ، والمعيلون أو المحبوسون بمرض وذوو الأرحام[١] .

١٠ — وتختط الشريعة فى محاربة الفقر مذهباً وسطاً ، لا يضار منه الغنى ولا تفوت بسببه المصلحة على فقير ، فهو يحدد مقادير الزكاة تحديداً معقولا ، ولا يفرض على الأغنياء أكثر منها إلا أن تحدث أمور توجب المواساة والإعطاء كأن يوجد جائع مضطر أو عار مضطر أو ميت ليس له من يكفنه ولا من يدفنه .

ولقد ذهب أبو ذر إلى عدم جواز ادخار الذهب والفضة ، وروى أبو هريرة أن النبى (ص) لم يحب لنفسه أن يكون له ذهب ، ولكن الرد على هذا أن النبى قدر الواجب من الزكاة فى الذهب والفضة ، فلو كان إخراج الكل واجباً لما كان للتقدير وجه ، وقد كان فى الصحابة ذوو يسار ظاهر مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وعلم النبى ذلك منهم فلم يأمرهم بإخراج الجميع[٢] .

١١ — والإسلام يفرض الجهاد بالمال مثلما يفرضه بالنفس قال تعالى : « ... إن يجاهدوا بأموالهم وبأنفسهم ... » ، وجهاد المرء بماله يكون بانفاقه فى إعداد ما يلزمه للجهاد من العدة بمختلف أنواعها ، ويكون أيضاً بإنفاقه على غيره من المجاهدين وإمداده بالزاد والعدة . والشريعة تعنف أشد التعنيف كل من نكل من الجهاد[٣] .

١٢ — وهى تفرض على الحجاج الهدايا يوزعون لحومها على الفقراء ، وتوجب على الموسرين نحر الضحايا وإعطاء الفقراء أيضاً منها .

وكذلك كفارات الرُّخَص فى العبادات وكفارات كثير من الأخطاء واجبات مالية ينتفع بها الفقراء الذين لا تبرح الشريعة تنظر فى مصالحهم .

١٣ — ومن المبادىء الإسلامية البالغة الأهمية والتى تُغنى عن التطلع إلى النظم الوضعية أن الشريعة تقتضى الأغنياء من أهل

(١) الاحياء جـ ١ ص ١٩٤ .
(٢) أحكام القرآن للرازى جـ ٣ ص ١٠٥ .
(٣) راجع : الحسبة فى الاسلام لابن تيمية ص ٧٧ ، ٧٨

حول جدل في الجامعة

للأستاذ عبد الفتاح بدوي

نشر الأستاذ « العباس » مقالا في « الرسالة » عنوانه « جدل في الجامعة » وموضوعه رسالة قدمت في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول لنيل درجة الدكتوراه .

ونشر الأستاذ « محمد خلف الله » مقالا بعده ينفى فيه أن يكون الأستاذ « أحمد أمين » قد عاب الرسالة لضعف في منهجها أو لإنكار مافيها من حقائق علمية ويقول : إن كل ماصنعه الأستاذ أحمد أمين أنه لفت ذهن الجامعة إلى أن مناقشة الرسالة قد تثير ضجيجاً لما فيها من أفكار وآراء .

وليس يعنينا ضعف منهج الرسالة فليس الناس ولا أهل العلم خاصة قوامين بالقسط على الرسائل التي تقدم في الجامعة فذلك شأن المتحنين من دون الناس جميعاً

ولكن الذي لنا وللعلماء خاصة هو القيامة على الحقائق العلمية وعلى الحقائق الدينية تنفي عنهما الخبث وندافع عنهما كل من يحاول عليهما العدوان .

ولقد دلنا الأستاذ « خلف الله » بمقاله على أن في الرسالة التي تقدم بها إلى الجامعة أحداثاً خطيرة في العلم وفي الدين ، ودعاني مقاله هذا إلى البحث عن تقرير الأستاذ أحمد أمين وإلى البحث عن غير ذلك التقرير ، وما دمنا نملك هذا المقال فإننا نملك باباً وسيعاً من المناقشة والحساب في مسائل علمية ودينية لها أكبر الخطر ويترتب عليها أعظم النتائج العلمية والأدبية والاجتماعية والقانونية إلى أن نحصل على أشياء أخر غير المقال .

يقول الأستاذ « خلف الله » : ومن المعروف دينيا ألا نستنتج من نص قرآني أمراً لم يقصد إليه القرآن ... وهذه الدعوى هكذا تهجم عارم على العلم وعلى القرآن جميعا ، ودلالة صريحة على أن من يدعى هذه الدعوى يستبيح للناس أن يقولوا عنه أنه لايعرف شيئاً من المنطق ؛ والمنطق ميزان المعقول ، وهو لا يعرف قواعد اللغة ، ولا يتكلم بكلام الناس ، ولا يصح أن تكون له رسالة يتقدم بها إلى الجامعة أو إلى سواها لأنه ليس من أهل العلم في شيء .

أليس القرآن الكريم كلاماً له الدلالات المنطقية الثلاث المطابقية والتضمنية والالتزامية التي لكل كلام سواء في ذلك كل أنواع الكلام ؟ فإذا قال القرآن الكريم : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » ألا تفهم منه أن هناك

كل بلد أن يقوموا بفقرائهم وأن يجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم :

فيقام للفقراء بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ، وباللباس للشتاء ، والصيف بمثل ذلك ، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة(١) .

بل لقد ذهب أبو محمد بن حزم إلى رأى لا نحسبه معروفاً جيداً لجمهرة المسلمين قال : « ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير ، وهو يجد طعاماً فيه فضل عن صاحبه لمسلم أو لذمى ، لأن فرضاً على صاحب الطعام إطعام الجائع ، فإذا كان ذلك كذلك ، فليس بمضطر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير »(٢) .

ويمضى أبو محمد فيقول : « وله — يقصد المسلم المضطر — أن يقاتل عن ذلك ، فإن قتل فعلى قاتله القود ، وإن قتل المانع ، فإلى لعنة الله لأنه منع حقاً ، وهو طائفة باغية ، قال تعالى : « فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله » ومانع الحق باغ على أخيه الذي له الحق ، وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضى الله عنه مانع الزكاة ، والله تعالى التوفيق » اهـ (١) .

وبعد ، فهل يسع المنصف أن لا يقرر أن المذاهب والمشروعات الاجتماعية الحديثة مع ما في بعضها من آراء تستحق التقدير ، وتحمل على بعض الأمل في أن تطب لأدواء الفقر ، لا تتسامى إلى المبادئ الإسلامية في دقتها وشمولها وعملها المنظم على موازنة الثروات ، والتقريب بين الطبقات ، وإقامة التكامل الاجتماعي ، واحترام الإنسانية ، وتمكين الأمة من حفظ قوتها وشوكتها .

لبيب السعيد

(١) المحلى لابن حزم جـ ٦ ص ١٥٦

(٢) المصدر نفسه

(١) المصدر نفسه .

بلداً اسمه « بكة » وأن في هذا البلد بيتاً ، وأنه وضع للناس ، ثم نفهم الأمر الديني فوق هذا وهو أن هذا البيت مبارك وهدى للعالمين ؟ أليس لنا ذلك ونحن لا نستطيع أن نفهم هذا الأمر الديني إلا مع فهم تلك الدلالات ؟ بل أجمع العلماء على أن للقرآن الكريم فوق هذه الدلالات الثلاث التي تجمع عليها عقول البشر لكل كلام دلالة أخرى سامية هي دلالة الفحوى التي يكون مثلها للنثر الفني أو الشعر البليغ ، وأجمعوا على أن هذه الدلالة مرعية قطعا وإن اختلفوا في أنه هل تقوم على هذه الدلالة أحكام شرعية أم لا ؛ إننا إذا حرمنا القرآن الكريم دلالاته الالتزامية وهي التي تستنتج من الكلام فقد حرمناه أخص المزايا العقلية لكل كلام وليس يملك هذا الحرمان أحد ، إنما يدعيه من حرم قواعد العقل وخرج من ميدان التفكير ، وإذا كانت الحقائق العلمية التي بني عليها الأستاذ « خلف الله » رسالته من مثل مقاله هذا فويل للعلم وويل للعلماء

ويدعي الأستاذ « خلف الله » أن الأستاذ « محمد عبده » قد قال بهذا القول فأي قول هو هذا الذي قال به الأستاذ الإمام ؟ أن كلام الأستاذ محمد عبده مثل كلام كل العلماء أن القرآن الكريم ليس كتاباً أنزل للتأريخ وضبط الوقائع وترتيب الحوادث التاريخية بعضها على بعض ولكنه بالاجماع يستخدم التاريخ ويقص من هذا التاريخ حقائق واقعة ثابتة مرتباً بعضها على بعض ترتيباً لا استنتاج فيه كما يستنتج المؤرخ ولكن ترتيب الحق والواقع وينزل بذلك الواقع المرتب ترتيب الحقائق لهداية الناس وإرشادهم إلى الخير والفلاح

فالقرآن يخالف كتب التاريخ في أمور ويوافقها في أمور ؛ فالمؤرخ قديري من واجبه أن يتتبع تفاصيل الواقعة : من الأسماء والزمان والمكان والأحداث وتفاصيلها لأن هذا كله قد يعينه على استنتاج الحكم التاريخي الذي يحكم به على الواقعة أو يشيع به نهم المواطف الكثيرة المختلفة من قراءة التاريخ ؛ أما القرآن الكريم فقد لا يعنيه بعض هذا لأنه لا يستنتج الأحكام التاريخيه ولكنه الحكم الفيصل فيها ؛ فقد لا تعنيه الأسماء مثلا فيقول : « قتل أصحاب الأخدود » لأن العبرة التي تترتب على القصة أي الحكم التاريخي لا يتوقف على أسماء هؤلاء الناس ، وليس له بأسمائهم صلة ، وقد لا يهتم القرآن الكريم بالزمان فيذكر قصة « يوسف » عليه السلام وفيها اسم يوسف والمكان الذي كانت فيه القصة ولا يذكر زمانها ؛ وقد لا يهتم بالمكان فيذكر قصة لوط فيبين اسمه وأنه معاصر لإبراهيم ويذكر الحوادث ولا يذكر المكان ؛ وقد لا يهتم القرآن الكريم بالتفاصيل فيذكر قصة يونس عليه السلام وأنه « ساهم فكان من المدحضين » دون أن يدل على تفاصيل المساهمة ولا على نوعها ولا على المساهمين، ذلك كله لأن القرآن يخالف المؤرخ فالمؤرخ قد يتتبع ليستنتج ، أما القرآن فهو منزل بالواقع ، والحكم التاريخي فيه حكم العالم بالحقيقة فهو لا يستنتج ولكن يقرر الواقع ويذكر من الأسماء والأزمان والأمكنة والأحداث ما يعيننا على فهم ذلك الحكم التاريخي وتلقيه بالقبول ، ويتفق التاريخ والقرآن في أن كلا منهما يرتب الحكم التاريخي على المقدمات التي يذكرها وإن كانا يختلفان في طريقة ذلك الترتيب ، فالمؤرخ يرتب المقدمات ترتيباً ظنيا خاضعا لآلاف الفروض وأنواع الحدس والتخمين ، فإذا ذكر المؤرخ أسباب سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية كان كل سبب مما يذكر موضع نقاش طويل في جميع مراحله ؛ أما القرآن الكريم فيرتب المقدمات ترتيباً يقينياً لا شك فيه ؛ فإذا قرأنا قوله تعالى « ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» رأينا المقدمات يقينية الوقوع والحكم الذي ترتب عليها هو عين اليقين ؛ فالقرآن مصدر من مصادر التاريخ وليس كتاباً من التاريخ والفرق بينهما واضح كل الوضوح ، وليس في المسلمين من يقول بغير هذا .

ويقول الأستاذ (خلف الله) : على أن هذه المسألة قديمة ومن أجلها عد الأصوليون القصص القرآني من المتشابه ولقد نتج عن ذلك طريقتان . طريقة السلف وطريقة الخلف أما الأولون فيذهبون إلى أن كل ما ورد في القصص القرآني من أحداث قد وقع . وأما الآخرون فلا يلتزمون هذا وعلى طريقتهم جرى الأستاذ الامام ...

وهذا الذي يقوله الأستاذ خلف الله جرأة أخرى على الأصوليين وتقول مفترى على الإمام محمد عبده . فلسنا نعرف أحداً من الأصوليين ولا أحداً من المسلمين يعتبر القصص القرآني متشابها ولا نعرف أحداً من الأصوليين ولا من المسلمين لا يقول بأن ما ورد في القرآن من القصص إنما هو أحداث وقعت وحوادث

هى خلاصة الحقيقة التى وقعت فى سوالف الأزمان يسوقها القرآن عبرة وهدى للعالمين ؛ وليدلنا الأستاذ على أصولى لا يقول بهذا أو مى مسلم لا يقول بهذا

وكلام الأستاذ خلف الله افتراء على الأستاذ الامام يكذبه قول الإمام ومنهجه الذى اختطه لنفسه فى صراحة لا شية فيها ولا اختلاط ؛ ونورد هنا نص عبارة المنار وهى على أتم وضوح ليتبين للناس مقدار تهجم الأستاذ خلف الله على العلم وعلى رجال العلم ولنبين له كيف أراد أن يلبس على الناس بأقواله فى مقاله ويقول ما ليس بحق .

قال فى المنار عند تفسير قوله تعالى « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » : تمهيد للقصة ومذهب الخلف والسلف فى المتشابهات : أن أمر الخلقة وكيفية التكوين من الشئون الإلهية التى يعز الوقوف عليها كما هى وقد قص الله علينا فى هذه الآيات خبر النشأة الإنسانية على نحو مايؤثر عن أهل الكتاب من قبلنا ومثل لنا المعانى فى صور محسوسة وأبرز لنا الحكم والاسرار بأسلوب المناظرة والحوار كما هى سنته فى مناظرة الخلق وبيان الحق وقد ذهب الأستاذ إلى أن هذه الآيات من المتشابهات التى لا يمكن حملها على ظاهرها لأنها بحسب قانون التخاطب إما استشارة وذلك محال على الله تعالى وإما إخبار منه سبحانه للملائكة واعتراض منهم ومحاجة وجدال وذلك لا يليق بالله تعالى أيضاً ولا بملائكته ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف الملائكة بكونهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقد أورد الأستاذ (يعنى محمد عبده) مقدمة تمهيدية لفهم القصة فقال ، ما مثاله : أجمعت الأمة الاسلامية على أن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقات وقد قام البرهان العقلى والبرهان النقلى على هذه العقيدة فكانت هى الأصل المحكم فى الاعتقاد الذى يجب أن يرد إليه غيره وهو التنزيه فإذا جاء فى نصوص الكتاب أو السنة شىء ينافى ظاهره التنزيه فللمسلمين فيه طريقتان أحدهما طريقة السلف وهى التنزيه الذى أيد العقل فيه النقل كقوله تعالى ليس كمثله شىء وقوله عز وجل سبحان ربك رب العزة عما يصفون وتفويض الأمر إلى الله تعالى فى فهم حقيقة ذلك مع العلم بأن الله يعلمنا بمضمون كلامه ما نستفيد به فى أخلاقنا وأعمالنا وأحوالنا ويأتينا فى ذلك بما يقرب المعانى من عقولنا ويصورها لمخيلاتنا والثانية طريقة الخلف وهى التأويل يقولون : إن قواعد الدين الإسلامى وضعت على أساس العقل فلا يخرج شىء منها عن المعقول فإذا جزم العقل بشىء وورد فى النقل خلافه يكون الحكم العقلى القاطع قرينة على أن النقل لا يراد به ظاهره ولا بد من معنى موافق يحمل عليه فينبغى طلبه بالتأويل : قال الأستاذ (محمد عبده) وأنا على طريقة السلف فى وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب وأننا نسير فى فهم الآيات على كلتا الطريقتين لأنه لابد للكلام من فائدة يحمل عليها لأن الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى

قال صاحب المنار : وأقول أنا مؤلف هذا التفسير . إننى ولله الحمد على طريقة السلف وهديهم ، عليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله تعالى .

فالأستاذ الامام لم يقل إن القصص من المتشابه ولم يقل بذلك مسلم قبله أو بعده والأستاذ الامام يقول : إن الآيات فى قصة الخليقة فى الأرض من المتشابه وفسر ذلك التشابه بأنها لا تحمل على ظاهرها وفسر ذلك الظاهر الذى لا تحمل عليه بأن فيها حوارا وجدلا بين الله تعالى والملائكة والجدل والحوار على ظاهرها لا يليقان بالله تعالى ولا بالملائكة فيجب تأويل ذلك الجدل والحوار وحملهما على (خلاف مقتضى الظاهر) وبين التأويل الذى يراه لهذا الحوار ولهذا الجدل فى ص ٢٥٤ من تفسير المنار لنفس هذه الآيات فقال : وأما الفائدة فيما وراء البحث فى حقيقة الملائكة وكيفية الخطاب بينهم وبين الله تعالى فهى من وجوه أحدها أن الله تعالى فى عظمته وجلاله يرضى لعبيده أن يسألوه عن حكمته فى صنعه الخ ثانيها إذا كان من أسرار الله تعالى وحكمته ما يخفى على الملائكة فنحن أولى بأن تخفى علينا ثالثها أن الله تعالى هدى الملائكة فى حيرتهم بعد الإرشاد إلى الخضوع والتسليم رابعها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن تكذيب الناس الخ فأين ما ادعاه الأستاذ خلف الله على الأصوليين وعلى الامام . إن هذا إلا اختلاق .

حسب الرسالة اليوم هذا فان الحساب بيننا وبين الأستاذ خلف سيطول .

عبد الفتاح بدوى
المدرس فى كلية اللغة العربية

إلى رجال التعليم :

التلميذ مرآة أستاذه

للأستاذ علي العماري

ذكرت في عدد سابق من الرسالة الغراء بعض الأسباب التي أدت إلى ضعف المتعلمين في العلوم عامة ، وفي اللغة العربية خاصة ، وما سلكت غير سبيل الحق ، ولا نهجت إلا منهج الصراحة فإني أعلم أن الداورة والمجاملة وغض الطرف عن العيوب كلها أدواء فتاكة ، تغطي وجه الحق ، وتمكن للداء أن يستشري ، وإذا كان هذا سبيلي فإني قائل اليوم قولا أراه مراً جارحاً ، ولكني لا أجد منه بداً ، وإني أعلم أنه سيغضب الكثيرين ، وسيدع غير قليل من رجال التعليم يزمون شفاههم ، ويقطبون أسارير وجوههم ، ويهزون أكتافهم ، ويقولون : كذب ورب الكعبة ، ولكنه — أيها الإخوان — الحق الصراح ، والحق مر ، والقول الخالص ، والناس لا يظلون إلا إلى الآسن العكر ، حين يعذبه النفاق ، ويسيغه في الحلوق الثناء الكاذب ، والداهنة البغيضة .

ولست متجنياً ، ولا بعيداً عن الصواب حين أقرر أن من أهم أسباب الضعف في مدارسنا ومعاهدنا اسناد مهنة التعليم إلى قوم لا يحبون العلم ، ولا يسمون إليه ، ومن خطأ الرأي أن يظن أني أقصد جميع الأساتذة والمدرسين ، فأنا إنما أشير إلى عدد غير قليل منهم ، وما دام المدرس ضحلا في مادته ، تافهاً في معلوماته ، ناقصاً في عقله ورأيه ، فكيف نطلب من التلميذ أن يكون نابغة في علم ، أو عبقرياً في فن ، بل كيف نطلب منه أن يقرأ قراءة صحيحة وأستاذه غير مستطيع ، وفاقد الشيء لا يعطيه كما يقولون ..

كان المعلمون في الماضي يسهرون الليالي الطوال في اعداد دروسهم ، ويرجعون إلى شتى المصادر في مادتهم ، ويعملون آراءهم وعقولهم في تفهم ما يلقونه إلى الطلاب ، فكان في معاهد التعليم المجد المحصل ، والذكي النابغة ، ولكننا اليوم نرى مدرسين (على أحدث طراز) لا يعنى أحدهم بدرس ، ولا يتعب نفسه في المراجعة ، وحسبه أن يدخل على تلاميذه فيلقي إليهم ما سطر في الكتاب المقرر ، فإذا سئل أعاد (الأسطوانة) ، ونرى آخرين لا يحسنون النطق بالعربية ، وإنما أخذوها من أفواه العامة فهي تطغى على ألسنتهم ، وتشيع في أساليبهم ، ولأن تكلف أحدهم أن يزحزح رضوى عن موضعه أهون عليه من أن تكلفه أن يلقي درساً بالعربية ، ولو كان يدرس البلاغة أو آداب اللغة العربية ، وليست هذه الحال مقصورة على معهد من معاهد التعليم دون معهد ، وإنما تجدها في الجامعة المصرية ، كما تجدها في الأزهر الشريف ، كما تجدها في المدارس على مختلف أنواعها ، ونوادر المدرسين في هذا الضعف يخطئها العد وينوء بها الحصر .

دخل أحد المفتشين على أستاذ يدرس آداب اللغة العربية في فرقة عالية فوجده يدرس لهم الخط العربي ، ويقول عن بعض أنواعه (وقطته أربع وعشرون شعرة من شعرات البرذون) فسأله المفتش ما معنى هذا ، فأعاد الدرس من أوله ، ومر سريعاً على هذه الكلمة ، فسئل مرة أخرى فصنع صنيعه الأول ، ولم يزد ، فقال له المفتش في أي كتاب راجعت مادتك ؟ فسكت ولم يحر جواباً ، فقال له : فإذا أردت أنا أن أراجعها ففي أي كتاب ؟ فسكت أيضاً . ؟

وحدثني كبير في الأزهر قال أن بعض المفتشين في وزارة المعارف دخل على معلمة تدرس اللغة العربية فسمعها تقرأ قول الله تعالى « إنا أعطيناك الكوثر » فتضم الكاف ، وتميت الواو .

وقد سئل أحد المدرسين في الأقسام الثانوية بالأزهر عن إعراب هذه الكلمة : لي مسألة لدى علي ، فلما وصل إلى حرف لدى قال أنه فعل ماض ، وأصر على ذلك .

ولعل أغرب ما سمعنا في هذا الباب أن مدرساً في كلية عالية قال إن قول الله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) نزل على أبي بكر رضي الله عنه ، فراجعه الطلاب فتريث قليلا ، وترك جدالهم ، فلما جاء في اليوم التالي قال لهم اسمعوا . إن الرجوع إلى الحق فضيلة ، وإني أطلت الليلة النظر ، وراجعت كثيراً من الكتب ، وبعد البحث والتنقيب ظهر لي أن هذه الآية نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم !!!

صدقني — أيها القارىء — واعلم أني — والله الذي لا إله

غيره — أجدولا أتندر ، وأن كثيرين ممن كانوا فى هذه الفرقة لا يزالون فى أول عهدهم بالحياة ، وأن الأستاذ المدرس لا يزال منتفخ الأوداج ، عالى الهامة ، يغدو ويروح على كليته ، ويأخذ الكثير من المال على جهله وغباوته !!

وقل لى بربك ، كيف يخرج الأستاذ نابغة فى البلاغة وهو لا يكاد يبين ؟ وكيف يصنع تلميذاً يفخر به وهو يجهل البديهيات الأولية فى العلم ؟ ومتى استطاع مدرس يقرر أن قصص القرآن من الأساطير ، أن يخرج تلميذاً له فى العلم نصيب .. ؟

هذا عن جهل المدرس ، فإذا أخذنا ندون ما نعرف من اهمال بعض المدرسين وتهاونهم طال بنا القول ، واستفاض الحديث ، على أننا سنجتزىء بقليل من كثير مما نعرف ، ومع ذلك فلسنا نسلم من الألسنة

هذا مدرس لا عمل له طوال العام الدراسى ألا أن يتحدث عن نفسه ، فلا يلقى فرقة من الفرق ألا أسرف معها فى التمدح بأخلاقه ، والفخر بآثاره وأعماله ، والحديث عن آبائه وأجداده حتى إذا بقى من الزمن خمس دقائق قال اسمعوا سنقول فى العلم ، ويمضى يتحدث عن العلم ولكنه لا يفتح باب العلم إلا ليدخل منه إلى الحديث عن نفسه ..

وهذا آخر تثقل عليه الدراسة ، حتى أن كل يوم منها عنده مثل « سبت الكتاب » فهو يحاول جاهداً أن يميل بالطلاب عن طريق الجد ، فلا يسمع نبأة إلا حدث بها ، وتحدث عنها ، وأطال الحديث ، وهو يوحى بذلك إلى الطلاب أن دعوا العلم والعلماء فإن الوطن يناديكم ، ومطالب الحياة تستصرخكم ، وما فائدة الدرس إذا لم ينتفع منه الدارس ؟ فإن لم يقل ذلك تصريحاً قاله تلميحاً ، ولا عجب بعد ذلك إذا رأينا بعض الأساتذة يفرحون ويطربون حين يرون الطلاب منصرفين عن دروسهم ، ويغتمون أشد الغم إذا رأوهم مقبلين على هذه الدروس .

وهكذا نجد ضروباً وأصنافاً وكلها تتلاقى عند نقطة واحدة، تتلاقى عند الاهمال الذى لا يليق بمن يأخذ على نفسه تبعة تربية النشء ، ولسنا هنا نتحدث عما تبذره مثل هذه الأعمال فى نفوس الناشئين من الأخلاق الذميمة ، وإن كان ذلك عظيما ، ولكنا بصدد الحديث عن ضعف المتعلمين الذى كان من أكبر أسبابه ضعف بعض المعلمين ، واهمالهم وتهاونهم .

ولكن العجب كل العجب من الرؤساء الذين يعرفون كل ذلك ، وما هو أدهى وأمر من ذلك ، ولكنهم حين يعلكون الغنيمة لا يوزعونها بالقسطاس المستقيم ، ولا يقصدون بها الجادين العاملين ، وإنما يقصدون المقربين منهم والملتفين حولهم ، وجمهرة هؤلاء من الصف الأخير الذين يريدون أن يكونوا فى الصف الأول بتقربهم من الرؤساء ، والسير فى ركابهم ، ولذلك يكسل الجد ، ويتهاون العامل ، ويسكن المتحرك ، وتخور عزيمة السباق، ولقد قر فى الأذهان — من طول ما لقى المجدون — أن الحظ لا يواتى النابه المخلص ، وقديماً ، قال المتنبى :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى ... بأيسر من أجمع الحظ والفهما

وقال بعض شعرائنا المحدثين ، وقد أخطأه الحظ ، فى توزيع الدرجات الأخيرة ، :

أين الكفاءة لا كفا ... ءة غير ما يعلى الهوى
والعلم والإخلاص والتبريز دون المستوى
من دام ربا عندهم ... فالجهل أعذب مرتوى
وإذا الحكم فى مها ... وى الرأى والظلم هوى
فشهادة الحرمان أعدل يوم تختبر القوى

ولا سبيل إلى النهوض باللغة العربية ، وبالتعليم على وجه العموم إلا إذا أخلص ولاة الأمور ، وتنبهوا لما قدمنا لهم فى مقالنا السابق ، وفى هذا المقال من علل وأدواء ، وعملوا — جاهدين مخلصين — على علاجها والقضاء عليها .

على العمارى
المدرس بالأزهر

أمي

للأستاذ فريد عين شوكة

لا تلمني على بكائي وغمي … أيّ مـ… يمين في فقد أمي
أي كنز فقدته في نواها … أي خـ… أصابني، أيّ غرم
أين مني حنانها يسعد الرو … ح، ويبني عن خاطري كل هم؟
أين مني دعاؤها بركات … تتوالى من السماء، وتهمي؟
أين مني سؤالها عن طعامي … وشرابي، وعن قيامي ونومي؟
أين مني حنينها للقاني … إن تنيبت ساعة دون علم؟
أين مني وداعها في رحيلي … بالأماني التي تجدد عزمي؟
أين مني لقاؤها في إيابي … بالتهاليل، حين أهتف باسمي؟
وهي تسعى إليّ دون اقتدار … بمحيا كأنه بدر تم!
وعيون تألّق البشر فيها … كائتلاق السنى بأسطع نجم
وفم ينظم التهانيّ حمداً … أنني عدت في أمان وسلم
وتمدُّ اليمين منها فأطفي … حرّ قلبي المشوق في فيض لثمي
ذكريات في خاطري تتهادى … كحبيب الرؤى بأروع حلم!

* * *

أين مني صدق الفداء، إذا ما … مسني في الحياة أيسر سقم؟
تسهر الليل وهي حولي ولهى … تذرف الدمع في خفاء وكتم!
فإذا ما انتبهت فهي تلاقيـ … ـني بوجه مستبشر غير جهم
وتروي جوانحي بأماني … عذاب، تنفي ظنوني ووهمي
وتصوم النهار عن كل زاد … غير ما يمسك الذماء ويحمي
ومناها لو أنها تفتديني … بالذي يبتغي الفداء وترمي!

* * *

أين مني نفس أسر إليها … فرحتي، أو شكايتي من ملم؟
فترى السعد في هنائي، وترجو … لي في النعميات أوفر قسم
أو تسرّي عني الهموم، فأرضى … بالذي كان من قضاء وحكم
ثم تمضي الأحداث، والسر خاف … فكأني ألقيته في خضم

* * *

هيه يا إخوتي … ونحن جميعاً … في أسى لافح للظى مدلهم
كلنا في فجيعة الأم يطوي … جانبيه على سهام وكلم!
كلنا مترع بما غمرته … من رضاء ومن هناء وغنم
لم يكن بيننا أثير، ولكن … متساوون في الحنان الأعم
وإذا آثرت شقيقاً بعطف … فلسقم، أو غربة، أو عدم
نظمتنا عقداً، وكانت له الخيـ … ـط، فلم يبد مرة دون نظم
لا يرانا الزمان إلا أحباء، … تلاقوا على ولاء ورحم
شركاء في السعد والبؤس، أعوا … ناً على العيش في نضال وحزم
كشديد البنيان كنا، وكانت … أمنا للبناء أثبت دعم
نبتغي عندها الرضاء، ونحيا … طوع إرشادها على غير رغم
يا إلهي! هوت دعامتنا الكبـ … ـرى، فهل نستقر من غير هدم؟
يا إلهي! ندّ القراب عن السيـ … ـف، فكيف احتماله دون ثلم؟

* * *

يا ذوي قربتي! عزاء جميلا … في مصاب دهى الظهور بقصم
قد حرمتم نفساً أبرّ وأحنى … من شقيق لكم وخال وعم
كم أتيتم رحابها، فلقيتم … كرماً لا يزال كالبحر يطمي
وحناناً من عندها وزكاة … في خفاء وفي حياء وبسم
وتبثون ما بكم … فتلاقو … ن لديها عوناً على كل ظلم

* * *

ويح للجارة الوفية! تبكي … كلما أقبلت فلم تلق أمي!
فقدت بعدها الوداد المصفّى … والغياث المرجوّ في كل أزم
والفؤاد العطوف يحنو ويأسو … إن رماها كف الزمان بسهم
واللسان العفيف لا يلفظ السو … ء، ولا يستطيل يوماً بشتم!
والحديث اللطيف يقطر كالشهـ … ـد، بريئاً من اغتياب وذم!
يا لها من فجيعة رزأتها … في سجايا عظيمة أي عظم!

* * *

أيها الحزن! لا عدمتك حتى … تسحق النار في أتونك عظمي!
أيها الدمع! لا هجرتك حتى … ينزف القلب في انسكابك دمي!
أيها الصبر! لا عرفتك حتى … يستوي في جوار أمي جسمي!
لا أطيق الحياة بعد نواها … آه، يا ليت يومها كان يومي

* * *

يا عوادي الردى فقدت رجائي … فهلمي خذي الحياة … هلمي!

(منوف) فريد عين شوكة

من وراء المنظار

زهرة وزهرة . . . !

جلست أنتظر فى حجرة مدير المكتب حتى يأتى دورى فيؤذن لى بالدخول على كبير من أصحاب الديوان فى إحدى الوزارات ؛ وكانت الحجرة ملأى بالمنتظرين مثلى ؛ وكلما رن الجرس وأسرع المدير إلى الحجرة المهيبة وخرج منها ، تأهب كل امرئ يحسب أن الإذن له ، فيشير المدير إلى من يعرف ، وينادى اسم من لا يعرف ، فيصلح الداخل حلته ويزرها ويعدل رباط رقبته ، وقد ينزع طربوشه ويمسحه بمنديله أو بطرف ردنه ، ويضعه على رأسه فى اهتمام ، ويدق الباب فى احتشام ، ويدخل ثم يخرج بعد حين وعلى وجهه غَـبَرَةٌ أو ابتسامة ... وكان يقع منظارى على هؤلاء ، وأنا أحمد الله أن لم تكن بى حاجة إلى هذا الكبير ، فما جئت إلا لأقدم إليه « كتابى » ...

ودخل أكثر من بالحجرة وخرجوا ، وبقيت سيدة على أحد المقاعد ، حيث وقع نظرى عليها منذ دخلت هذه الحجرة ... سيدة هى الحزن نفسه تمثل إنسية فى ثياب الحداد ! ...

كنت أنظر إلى وجهها الضارع فتنمز على قلبى وعلى كبدى هذه اللوعة الناطقة فيه ، وكانت تدور طرحة سوداء بهذا الوجه ، وهو فى لون العاج المصفار ، فتزيد بياضُ صفحته وتبرز معنى الشكل فيه ... وكانت هذه السيدة الحزينة تنظر دائماً إلى الأرض ، فلا تكاد ترفع بصرها حتى ترده إلى حيث كان فى ضراعة وتخشع ، وكم كان يحزن نفسى ما أراه من حمرة فى جفونها كلما التقى بصرى بعينيها الواسعتين الهادئتين ، اللتين أطفأ الحزن والسقم ما كان فيهما من بريق !

وكانت هذه الزهرة الذابلة رائعة الحسن على الرغم من لوعتها وضراعتها ، تروعك ملاحة وجهها بقدر ما يروعك حزنها ... وهكذا جعل الحزن روعتها روعتين ، وجعل ما يحسه القلب حيالها من لوعة كأنما يذوقها مرتين !

وكانت شابة لا تزيد على الثلاثين فيما أحسب ، وفهمت أنها أرملة كبير من أصحاب هذا الديوان ، فعجبت كيف يدعها موظفو المكتب حيث هى فلا يعينونها على ما جاءت له من أمر ، ولو لم يكن زوجها من أصحاب هذا الديوان من قبل ، لكان لها من هذا الحزن الضارع أكبر شفيع ... بل لكان لها من مجيئها ولم تخلع ثوب الحداد بعد ، ما هو خليق أن يلين لها القلوب ولو كانت من الصخر ...

ولكن ... فيم العجب ، ولو أن زوجها نفسه أحيل على المعاش ، كما يقول أصحاب الديوان ، وجاء بعد يوم واحد إلى نفس الديوان ، لتنكر له من كانوا من قبل يرجون مودته ، ولحياه من يحييه ، وكأنما يريد أن يفهمه أنه يتفضل عليه بهذه التحية ، فكيف وقد طواه الموت ؟ !

بهذا حدثتنى نفسى وأنا أنظر إلى هذه التى يغطى السواد جسدها كله ، فلا يُرى إلا وجهها ويداها ، والتى كنت أتخيل أن ما يطرأ على خاطرى من هذه المعانى هو عين ما كان يطرأ على خاطرها فى تلك اللحظة ...

ودخلت بعد حين غانية أخرى فى زينتها ودلها وألوانها ، تخطو خطوات رشيقة مريبة وتتثنى وتتخلج كأنما تمشى لا برجليها وحدهما ، وإنما بهيكلها كله ، وقد فاح فى الحجرة عطورها ، وارتفع بالتحية صوتها ، وهى تقول إنها تريد أن تقابل سعادة البك ...

... وجلست هذه الزهرة الناضرة ، وقد هش لها مدير المكتب ، وأقبل عليها يحدثها حتى ما كان يعى تحيات القادمين ولا نداء الموظفين ، ولا يفطن إلى ما يلقونه إليه من أوراق ! ... حتى الجرس نفسه — جرس الرئيس المهيب — كان يتوانى فى إجابته ، ثم يهرول ليعود بعد لحظة يصور لمحدثته مبلغ ما لدى رئيسه من أوراق ينظر فيها ، وذلك كى يجعل له عليها فضل الحصول لها على الإذن ...

ودخل الحجرة بعض الخبثاء من الموظفين يتظاهرون أنهم قدموا لعمل ... فكانت تناديهم بأسمائهم فيسرعون إليها فتسأل الواحد منهم عما تم فى مسألتها ... فيحدثها فى تظرف واهتمام ، ويصف لها مقدار ما يبذل من جهد وعناية فى هذا الأمر ، وهى تخرج الكلام من فمها تارة ومن أنفها تارة ، ولا تكاد تستقر فى موضعها وتهددهم ضاحكة أنها سوف تشكوهم إلى سعادة البك

تعقيبات

بأية حال عدت يا عيد ؟!

خرج شاعر العربية أبو الطيب المتنبي من مصر هارباً فى سبيل آماله ، فأتى عليه عيد الأضحى وهو شريد فى الصحراء ، تملأ نفسه الوحشة ويستبد به الحنين ، فثارت شاعريته بتلك الصرخة الألمية الخالدة :

عيد ! بأية حال عدت يا عيد   بما مضى أم بأمر فيك تجديد؟!

واليوم ، يأتى علينا عيد الضحية ، ونحن فى حال الشاعر الكبير ، نشيدنا هو تلك الصرخة الألمية التى هتف بها فى أذن الزمن من قديم ، فكلنا ضحية للمرض الغائل ، والوهم القاتل ، والهم الجاثم ، وكلنا غريب تملأ نفسه الوحشة والفرقة ينشد قول أبى الطيب :

عيد بأية حال عدت يا عيد . .

إن الأمر لله من قبل ومن بعد ، فيا بارىء الناس غوثك ورحمتك بالناس . . فاللهم اكشف الضر عن عبادك أجمعين ، وارفع الشر عن جندك المسلمين ، وأدرك بعنايتك الفياضة هذه الأمة الضارعة إليك فيعود عليها هـذا العيد بالخير العام ، والسرور والسلام . .

أدب . . الكوليرا :

فى عام ١٩٠٢ هجم وباء الكوليرا على مصر هجوماً عنيفاً فملأ نفوس الناس بالفزع ، وملأ عواطف الشعراء بالتأثر ، ففاضت قرائحهم بالقصائد فى التنديد على ذلك الوافد الثقيل ، وتطمين الخواطر للأقدار الجارية ، مما لو جمع لكان ديواناً يمكن أن يسمى « ديوان الكوليرا » .

أذكر من ذلك قصيدة للمرحوم الشاعر أحمد محرم تصور حال ذلك الوباء فى تلك الأيام وشدة تأثيره على نفوس الناس ، ويقول فى مطلعها :

ضيف ولكن لا أقول سلام   ولرب ضيف ذم منه مقام
ربعت لطلعتك القلوب وهالها   هذا التوثب منك والإقدام
تسطو على سرب النفوس وإنما   يسطو على سرب الحياة حمام
وتصول ما يثنيك عن آجالنا   عذل تؤجج نارة وملام
لو كنت ذا قلب يرق لنادب   أمنت بلاءك هذه الأقوام
الله فى أرواحها ونفوسها   إن كانت التقوى لديك ترام

وإنهم ليؤكدون لها فى ميوعة وخبث أنهم « فى الخدمة » ، وأن « الهانم » لن تعود بعد يومين إلا وقد انتهى كل شىء ...

وتنظر إلى هذا فتقول : يا لئيم ! وإلى ذاك فتقول : يا نصاب ! وإلى ثالثهم فتقول : يا مكير ! وتغمز بعينها وتضحك ... ويتكلمون بالأحداق ، أو يتغامزون بالأيدى ، وينصرفون ليقولوا خارج الحجرة ما يشاءون !

وتنظر المحزونة إليها فيتضاعف حزنها ، وإن صاحب القلب المحزون ليعرف أقصى حزنه حين يجد نفسه وحده بين قوم لاهين ضاحكين ! وأنظر إلى هذه الثكلى لا يعنى بها أحد ، ولا يفكر فى أمرها أحد ، فتشمئز نفسى من لؤم هذه الحياة !

ورن الجرس ، فخف المدير إلى حجرة رئيسه ، ثم عاد يشير إلى صاحبته لتدخل ، ومشت إلى الباب فى خفة كأنما تريد أن تجرى ، ورائحة عطرها تملأ الخياشيم ... ونظرت إلى تلك الزهرة التى لا يفوح منها عطر ، فإذا حمرة توردُ هذا الماج المصفار فى وجهها هى حمرة الغضب ، وإذا بجفونها القروحة تتندى ، وإذا بها تمسك دموعها فى جهد !

وتمشى إلى مكتب المدير فى أناة وخشوع ، وتقول له فى صوت مختنق متهدج ... إنها تعتذر إذ لا تستطيع البقاء ، فما يزيد على أن يقول لها فى سماجة : « على كيفك يا ستى ... الناس لسه منتظرين كلهم أهم ... وأنا أعمل إيه ؟ »

وانصرفت المسكينة فما بلغت الباب حتى انهمرت دموعها ، فمسحت عينيها بمنديلها ، وما فى الحجرة ممن ينتظرون الإذن إلا من تحرك قلبه شفقة عليها ورثاء لها !

ولا أريد أن أذكر للقارىء متى جاء دورى أنا « المؤلف الفاضل » ، أحد حملة القلم المتواضعين الذى ما جئت أرجو فى شىء ، والذى يعرفنى منذ سنوات هذا الكبير الذى لا تخلو من أمثاله وأمثال مديره أكثر الدواوين !

الخفيف

أوقدتها حرباً يشب ضرامها … فتى يغيث الناس منك سلام

شر الضيوف ولا إخالك غيره … ضيف له نفس المضيف طعام

ثم يصف الشاعر موقفه فى هذه الغمرة فيقول :

أتظن أن الخوف يملك منطق ؟ … نظم القريض إذن على حرام !

أم أنت تطمع أن يدين لحادث … قلم تدين لربه الأقـلام ؟

أسطو عليك به وأعلم أنه … قدر تطيش لهوله الأحلام

كف الوعيد فإن أنفاس الفتى … معدودة وكذلك الأيام

ولكل نفس مدة محدودة … ولكل شىء غاية وتمـام

ثم يقول :

يا ضيفنا المكروه يومك بيننا … شهر وشهرك إن تقاصر عام

أنى حللت من المدائن والقرى … حل البلاء وزادت الآلام

يا ضيفنا لو لم تكن قذراً لما … ضربت على الأقذار منك خيام

إن اغتيالك ذا الخصاصة بيننا … عيب يجانبه الكريم وذام

أم الغنى تخاف ويحك أم ترى … أن الغنى من حقه الإعظام

وأخيراً يختم قصيدته بهذا البيت :

مر أو أقم إن المنون روائح … وبواكر ومن المحال دوام

والقصيدة طويلة ، وقد اقتصرت منها على هذه النماذج ، ولو كان فى المقام سعة لأوردت كثيراً من النماذج من قصائد الشعراء فى التنديد بذلك الوباء ووصف نكبة الشعب فى تلك الأيام

وفى هذه الآونة يهجم وباء الكوليرا على مصر ، ويفعل أفاعيله بأرواحهم ، وفى نفوسهم ، وتتحرك الدنيا كلها لهول الخطب ، ولكن أحداً من شعرائنا لم يتحرك أبداً ، ولم يثر هذا فى نفسه عاطفة الشعر كما تثيره حادثة غرام ، أو ليلة وصل ، أو هجر غانية تبيع قلبها وجسمها فى كل سوق ، أو صورة مبتذلة فى مجلة ماجنة …

ألا رحمة الله ، ثم رحمة الله ، على شعرائنا الذين كان الشعب يجد نفسه فى عواطفهم وفى قصائدهم ، ورحمة الله لشعراء هذه الأيام ، شعراء القبلة الأولى ، والليلة الحمراء …

الرسائل فى الأدب العربى :

نشر الأديب أحمد محمد عيش فى العدد الأخير من مجلة « الكاتب المصرى » بعض الرسائل الأدبية التى تبادلها مع الشاعر العراق الكبير المرحوم الأستاذ جميل صدقى الزهاوى ، وقدم الأديب لذلك بمقدمة قال فيها :

« … هذا لون من ألوان الأدب الجديد — أدب الرسائل — استحدثناه ، أو بعبارة أخرى نبشنا دفائنه وأحيينا مواته ، ذلك لأن اللغة العربية لم تحظ بهذا اللون الجميل ، اللهم إلا فى النادر القليل ، بعكس اللغات الأجنبية ، فأنها مشحونة بهذا الضرب الرفيع بنماذجه الرائعة وأنماطه المذاب … » .

ومسكين والله هذا الأدب العربى ، كأن الله كتب عليه فى هذه الآونة أن يكون هدفاً للدعوى من كل فارغ الرأس ، ومقصداً للاتهام من كل جاهل ، وأنا لا أحسب أن فى نفوس هؤلاء الشبان ضغينة على الأدب العربى ، ولكن العلة أنهم يحسبون أن الأدب العربى هو ما يقرؤونه فى الصحف والمجلات ، وما يدرسونه من النماذج الجامدة البالية فى مقررات المدارس ، فإذا ضممت إلى ذلك دعوى عريضة تمتلىء بها الرءوس الفارغة ، وتلتوى بها الألسن المعوجة ، وقفت من وراء ذلك على أصل العلة وموطن الداء … وإنه لداء تفشى بين شبان العصر ، فليس أسهل على الواحد منهم من أن يحمل القلم ، ويتنفج بالدعوى العريضة ، ويعد أنامله فيخط كلمات رشيقة رقيقة يطمس بها تاريخ الأدب العربى من بدايته إلى نهايته ، وينكر أن يكون هذا الأدب أدباً …

عشت يا سيد عيش … « تستحدث فى الأدب العربى » ما ليس فيه من « النماذج الرائعة والأنماط المذاب » ، ولكن صدقنى أيها الأخ أن الأدب العربى حافل بالرسائل التى من هذا اللون ، بل إن الأدب العربى يمكن أن يسمى أدب الرسائل والمحاضرات والمطارحات ، بل إن المؤلفات الأدبية والعلمية لم تكن إلا رسائل يقدمها أصحابها إلى الأصدقاء ، أو يرفعونها إلى الرؤساء ، وأنا على استعداد أن أملأ يدك — إذا أردت — على ألف رسالة ورسالة من ذلك اللون الذى تريده فى حديث الكتاب عن أنفسهم وعن صلتهم بالناس وبالحياة ، ولكنى أعتقد أنك لا تريد هذا أبداً حتى تظل على الاعتقاد بأنك قد « استحدثت » هذا اللون من الأدب فى الأدب العربى .

قد يكون للأديب « عيش » عذره فيما يقول ، ولكن ما عذر أستاذنا الدكتور طه حسين الذى يشرف على تحرير « الكاتب المصرى » فى أن يحمل هذا الفضول على الأدب العربى … فإن كان الدكتور يرى هذا ويعتقده فإننى على استعداد لمناقشته فى هذا الرأى …

« الجاحظ »

الأدب والفن في أسبوع

احتفاء صامت :

هو الاحتفاء بذكرى شوقى ، ولم نفرغ بعد من هذه الذكرى ، وما ينبغى أن نفرغ منها إلا بعد كثير . . وأعنى بصمت الاحتفاء بها أنه جرى على الأقلام وبدا على صفحات الصحف والمجلات على نطاق واسع وفى مظهر لم يكن معهوداً من قبل ، على حين لم يقم لهذه الذكرى ما يناسبها من المحافل

لم يخل أكثر الصحف والمجلات فى هذا الأسبوع من ذكر شوقى ، كل على طريقتها وحسب مزاج قرائها ، فهذه فصول فى دراسة شعر شوقى من نواحيه المختلفة ، وهذه معلومات وطرائف عن شوقى « لم تنشر » وهذه روائع من شعره ، وهذه صور لمنزل شوقى (كرمة ابن هانىء) وغرفه وأبهائه وحديقته وأثاثه ، فهذا سرير شوقى ، وهذا مكتبه ، وعلى ذلك الكرسى الطويل كان يتمدد بعد الغداء ، وكثيراً ما كان يهبط عليه وحى الشعر على هذه الحال ، وفى هذا الكوب كان يشرب ، وهنا كتبه المختارة وعلى هامش صفحاتها أبيات كانت تواتيه فيسرع فى تدوينها على أقرب شىء منه . وقد استصحبت عدسة « المصور » إلى كرمة ابن هانىء الأستاذ أحمد رامى الذى وصفته بأنه شاعر الشباب فى دولة أمير الشعراء . وهو الآن بعد تلك الدولة « شاعر شباب القرن التاسع عشر » وذلك ليدلها على معالم هناك تعاهدها فى صحبة أمير الشعراء ، فأتى لها بطائفة من الصور ذات الموضوع .

وصف شوقى للكوليرا :

وهكذا افتنت صحفنا فى الاحتفاء بذكرى شوقى ، حتى أن إحداها ، وهى مجلة الصباح ، أتت بأبيات فى وصف وباء الكوليرا الذى كان بمصر سنة ١٩٠٢ من قصيدة لشوقى يهنىء فيها الخديوى عباس بعودته من الخارج ويصف ذلك الوباء ، قال شوقى:

الدهر جاءك باسط الأعذار   فاقبل فأس الدهر للأقدار
هل كنت تدفع حاضراً أو غائباً   عن مصر حكم الواحد القهار
ذاقت نواك وروعت بثلاثة   بالداء بعد المحل بعد النار
ودهى الرعية ما دهى فتساءلوا   فى كل ناد أين رب الدار
ذكروك والتفتوا لملك مسعد   ذكر الصغير أباه فى الأخطار
فاسى جراحهم وبل صداهمو   طيب الرسائل منك والأخبار
لهفى على مهج غوال غالها   خافى الدبيب محجب الأظفار
خمسون ألفاً فى المدائن صادهم   شرك الردى فى ليلة ونهار
ذهبوا فليت ذهابهم لعظيمة   مرموقة فى العصر أو لفخار
فالموت عند ظلال (موشا)[1] رائع   كالموت فى ظل القنا الخطار

خلفاء شوقى :

وكتب الأستاذ سعيد العريان فى جريدة النداء فصلا بعنوان « خلفاء شوقى » بين فيه آثار حملات النقد التى وجهت إلى شعر شوقى فقال فى هذه الحملات : « قد تركت أثراً فى نفوس الشباب من القراء لذلك العهد ، فنزل شوقى عند طائفة منهم دون منزلته ، إذ زعم لهم من زعم أن للشعر مقاييس وأوزاناً فنية لا يقاس بها شعر شوقى ولا يوزن » إلى أن قال :

« وهكذا نشأ جيل من القراء لا يؤمن بشوقى ولا يعتده شاعراً من طبقة الأمراء ، أو لعلى أستطيع أن أقول إن جيلا من القراء قد نشأ غير مؤمن بالشعر فى جملته ، لأن الذين حطموا التمثال الجميل الذى كان هؤلاء القراء يتعبدون له — لم يستطيعوا أن يقيموا مكانه تمثالا آخر قد جمع من عناصر الجمال والقوة على مقياسهم ما يحملهم على الإيمان به ، إذ لم يبق فى مكان التمثال المحطم إلا أشلاؤه المتناثرة »

والحق — الذى أراه — أن النقد الذى وجه إلى شوقى لو نفضنا عنه الغبار لوجدنا فيه كثيراً من العناصر الصالحة التى نبهت على كثير من الحقائق الأدبية التى انتفع بها الشعر والأدب على العموم فى هذا العصر

ومن الحق أيضاً أنه « لم يبق فى مكان التمثال المحطم إلا أشلاؤه المتناثرة » فلم يملأ أحد مكان شوقى . وما ذلك — كما أرى —

(١) قرية موشا التى ظهر فيها الوباء

إلا لأن الذين ساروا فى مذهبهم نقصهم أدواته ، كما ينقصهم عصره ، فقد صرنا إلى عصر غيره يتطلب جديداً ، والفلك دوار .. ولأن الذين سلكوا غير مسلكه ينقص المجيد منهم الماء الذى يجعل العود أخضر ... وكثير منهم يخبطون ويتسفون .

الفن القصصى فى القرآن :

كان لما بيناه من أمر رسالة « الفن القصصى فى القرآن » التى قدمها الأستاذ محمد أحمد خلف الله للحصول على الدكتوراه من كلية الآداب — صدى كبير وخاصة فى البيئات الدينية الإسلامية ، لاحتوائها على ما يعد نفياً للصدق التاريخى فى القرآن الكريم . وقد تلقينا كثيراً من الرسائل فى هذا الموضوع ، منها رسالة من « جبهة علماء الأزهر » مصحوبة بمذكرة مرفوعة إلى « حضرة صاحب الجلالة الملك ورجال دولته الأكرمين » وقد وقع عليها رئيس الجبهة الشيخ محمد الشربينى والأمين العام لها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى ، وقد جاء فى هذه المذكرة « ولقد مضى على نشر هذا النبأ وقت يسمح بتكذيبه لو كان كاذباً ، لكن أحداً لم يكذبه ، لا المؤلف ولا المشرف عليه ، ولا عمادة كلية الآداب التى جاء فى الخبر أنها تنتظر بالرسالة حتى ينعقد مجلس الكلية ؛ وذلك يدلنا على أن الأمر خطير يجب الإسراع بعلاجه لأنه وباء جديد أشد فتكا وأفظع أثراً من وباء الكوليرا فى هذه الأيام ، فإنه يجنى على الأرواح لا على الأشباح ويصيب الأمة فى دينها وهو أعز عليها من حياتها »

وقد أرسل مقدم الرسالة إلى صحيفة « الإخوان المسلمون » يقول إنه مستعد لأن يشعل النار بيديه فى رسالته على مشهد من الأساتذة والطلاب إن ثبت أن فيها ما يخالف الدين الذى استمدت أصوله من القرآن ، ومستعد لمساجلة الأستاذ أحمد أمين بك على صفحات مجلة الرسالة التى نشرت تقريره . ولكن الإخوان عقبت على ذلك بقولها : « إذا ثبت أن ما نقل من فقرات عن رسالة (الفن القصصى فى القرآن الكريم) قد ورد فيها كما نقل ، فلا يكفى أن يحرقها مؤلفها بيديه أو بيدى غيره على مرأى ومشهد الأساتذة والطلاب ، بل لابد أولا أن يعلن رجوعه إلى الإسلام، وأن يجدد عقد نكاحه على زوجته إن كان متزوجاً » وقالت له إن حرق الرسالة لا ينفع « بل يجب قبل ذلك أن تحرق الشيطان الذى ملأ نفسك بهذا الهذيان وأملاه عليك فإذا أحرقت هذا الشيطان فاعتزل كلية الآداب ودكتوراها والزم غرفة تنزوى فيها وتبكى على ما انخدعت به للشيطان وحزبه إلى أن يتوب الله عليك »

وقال لى صديق من الجامعة وقد جاء فى الحديث ذكر هذا الموضوع — : لقد فاتتكم نقطة هى أن الجامعة أرسلت من قبل كتاباً إلى خلف الله تقول فيه إنها موافقه على أن يعد رسالة فى (الفن القصصى فى القرآن) وأنى بالك إلى كلمة « الفن » أفلا ترى فى ذلك كأنها تكلفه أن يقول إن قصص القرآن « فن » ؟

قلت للصديق الجامعى : ما كان أغنى الجامعة عن هذا الموضوع ! . .

كوليرا الإذاعة :

رأيت غير مرة فى برنامج الإذاعة ما يلى :

« برنامج خاص (الكوليرا) » وانتظرت فى المواعيد المحددة فلم أسمع (الكوليرا) وكانت آخر مرة مساء يوم الخميس الساعة الثامنة إلا ثلثاً ، وقد سمعت بدلا من (الكوليرا) تمثلية « عذراء الربيع » وليس من القليل أن تقرأ فى البرنامج شيئاً وتسمع من المذياع غيره ! ولكن استرعى انتباهى تكرر وضع « البرنامج الخاص بالكوليرا » فى برنامج الإذاعة مع عدم إذاعته وشغل وقته بأى شىء ولو « تقاسيم نهاوند »

فماذا يا ترى يمنع من إذاعة برنامج الكوليرا ؟

دفعت هذا السؤال أمامى ... حتى وصلت إلى أن برنامج الكوليرا المذكور فى « الحجر الصحى » ولوقوعه فى هذا الحجر قصة :

وضع ذلك البرنامج الأديب الفنان الأستاذ طاهر أبو فاشا وقدمه إلى محطة الإذاعة فأحالته إلى وزارة الصحة للموافقة على إذاعته ، فقالت وزارة الصحة لا بد أن يعتمده طبيب . . وأخذه الأستاذ طاهر إلى أحد الأطباء ، فأقره ، وأعيد البرنامج إلى وزارة الصحة ، فوافقت عليه ، ثم تصرف فى تنظيم عرضه مخرج الإذاعة ، وأعلن عنه ، فطلبته وزارة الصحة ثم قالت

ليس هذا هو البرنامج الذى أقره الطبيب ، ولا يذاع إلا الأول . مع أن المعلومات الطبية هى هى فى البرنامج قبل الإخراج وبعده .

قصة طويلة مملة رغم اجتهادى فى اختصارها ، ولا أدرى ماذا تم فيها ، ولكن مما يدعو إلى الأسف أن يحال دون الانتفاع بالفن ، أو يؤخر، فى بلاء واقع يشغل بال الجميع هو وباء الكوليرا

والأكثر من ذلك استدعاء للأسف ، هو تثبيط همم الأدباء الذين يرجى أن يقبلوا على الإنتاج للاذاعة ، وحسبهم ما يلاقون من إدارة الإذاعة نفسها من سوء التقدير الأدبى والمادى ، فالأديب الذى يضع عصارة نفسه وفكره فيما يقدم للاذاعة يعد لديها شخصاً ثانوياً بالنسبة للمخرج الذى قد لا يزيد عمله على الترتيب الشكلى ، وإن زاد فلا يتعدى بعض التبديل والتغيير ، فيهتف المذيع باسم المخرج فى البلاء قائلا : « فلان يقدم ... » ثم يجبر خاطر المؤلف المسكين فيذكر بعد ذلك اسمه فى صوت خافت

ولا أنكر أن كثيراً من المؤلفين للاذاعة جديرون بهذا الوضع .. وخاصة مؤلفى الأغانى التى يشكو الجميع من ضعفها وسخفها ، ولكن يجب تهيئة الجو الصالح لكرام الأدباء ، لأن الاستمرار على مثل هذه المعاملة يزيد فى إعراضهم عن الإذاعة

أما التقدير المادى فحسبك أن تعلم من سوءه أن مؤلف التمثيلية أو البرنامج الخاص لا يزيد أجره على ثمانية جنيهات ، وتصور كم قضى الأديب ، وكم بذل من جهد ، وكم استوحى مصادر فنه ، فى هذا النتاج ؟ وقد يكون هذا مقبولا وقد يطلب من الأدباء ألا ينظروا إلى الكسب المادى لولا أن محطة الإذاعة تغدق المال من جانب آخر على الموسيقيين والمطربين والمطربات فقد حسب ما يكسبه أحد الموسيقيين من الإذاعة فبلغ نحو أربعمائة جنيه فى الشهر ، وكيف يصح أن تقول أم كلثوم لمحطة الاذاعة : « أذنت لك فى إذاعة ما لديك من مسجلاتى » فتنال على هذه الجملة آلافاً من الجنيهات .. ويبذل أديب نابغ كطاهر أبوفاشا ما يبذل فى نتاج قيم ، وتحفى قدماه بين محطة الإذاعة وبين وزارة الصحة ، ليحصل على ثمانية جنيهات ..!

ليست آلاف الجنيهات كثيرة على أم كلثوم التى تهدى الطرب إلى القلوب . . . ولكنها جاءت فى طريق المقابلة الذى دفعنا إليه سوء تقدير الأدباء بمحطة الإذاعة ، الذى يحيق ضرره بها ، من حيث قيمة ما تقدمه ، أكثر مما يحيق بالأدباء ، لأنهم يستطيعون أن يعتصموا بالرغبة عن الإذاعة للوقاية من تمحيقها لهم .

مخطوطات أندلسية :

تلقت الإدارة الثقافية بالجامعة العربية من وزير أسبانيا المفوض فى مصر ستة كتب من المخطوطات العربية مصورة ، هدية من مكتبة « الاسكريال » الأسبانية ، وهى :

١ — جزء من مسائل لصفى الدين الحلى « فى الأغلاط الشائعة على الألسن » يبدأ بحرف (س)

٢ — « إصلاح المنطق » لابن السكيت .

٣ — « رسائل فى المنطق والفلسفة والطب » لابن سينا .

٤ — ديوان أبى الحسن الششترى .

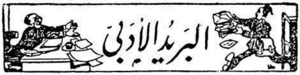
٥ — من ترسيل ابن نباتة .

٦ — الكامل للمبرد .

وقد كان لهذه الهدية موقع حسن فى قسم المخطوطات بالإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، لأنه يهتم بجمع المخطوطات العربية الثمينة المبعثرة فى مكتبات الدول الأوربية أو على الأقل الاحتفاظ بصور لها .

وقد جاءت هذه الهدية الثمينة نتيجة لمسعى السنيور جارسيا جومز المستشرق الأسبانى الذى قدم إلى مصر فى العام الماضى وزار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، فتباحث معه الأستاذ أحمد أمين بك مدير الإدارة الثقافية فى مسألة تصوير المخطوطات العربية الموجودة فى أسبانيا ، ورجاه حث الهيئات الثقافية فى أسبانيا على مد الجامعة العربية بنسخ مصورة من هذه المخطوطات فأبدى المستشرق الأسبانى روحاً طيباً ووعد بالاتصال بالهيئات الأسبانية المختصة .

« العباس »



كرنكو وفعلاء والأب أنستاس :

أشرت في كلتي (فعلاء) في الرسالة الغراء (٧٤٥) إلى تخطئة الأستاذ كرنكو الأب أنستاس في وصفه الجمع بذلك المفرد وقد رأيت أن أنقل تغليط المغلط وجواب المخطأ .

قال الأستاذ فريتس كرنكو : في مطالعتي مجلتكم (لغة العرب) بعض الأحيان تستعملون مفرد أفعل المؤنث أي فعلاء في مكان الجمع كما يفعل كتاب مصر ، فقد جاء في لغة العرب (٦ : ٢٥٢) الأشجار الخضراء في مكان الأشجار الخضر .

فرد عليه الأب أنستاس ماري الكرملي قائلا : « من مزايا لغتنا وصف المنعوت المجموع من غير العاقل بصفة مفردة مؤنثة ومنه في سورة الحاقة : قطوفها دانية أي دانيات . وقوله في الأيام الخالية اي الخاليات وفي سورة البقرة : إن تبدو الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وهذا لا يحصى لغة العرب مج ٦ ص ٧٨٢ »(١) .

وتخطئة الأستاذ كرنكو هي قول مفلت مجرد ، ولا يعبأ بشيء في مثل هذه المعاني لا يصحبه نص يبرهن(٢) به عليه أو دليل قوي أو ضعيف .

وقد توهم فاضل كبير درج أن قول سيبويه وقول المبرد يؤيدان المقالة الكرنكوية فكان يحتج بهما في ردوده الكثيرة على مجادليه ومناظريه. والقولان — كما رأى قراء الرسالة — إنما يشرحان ويقرران أن أفعل وفعلاء يجمعان يكسران — إذا كانا صفتين — على فعل .

من المتقدمين الذين وصفوا الجمع بمفرد الشاعر الأبيوردي قال في مرثية (الديوان ص ٨) .

ولو أستطيل على الحمام بعزة ... رفعت لها اليزنية السمراء(١)
لتحدبت صيد الملوك على القنا ... حيث القلوب تطيرها الهيجاء

والأبيوردي الأموي شاعر كبير وعالم نحرير ، قال ابن خلكان كان من الأدباء المشاهير راوية نسابة شاعراً ، نقل عنه الأثبات الحفاظ الثقات ، قال أبو الفضل محمد بن طاهر القدسي في حقه (في كتابه في الأنساب) كان أوحد زمانه في علوم عديدة ، وأليق ما وصف به بيت أبي العلاء (وإني وإن كنت) قال ابن خلكان : وله تصانيف كثيرة مفيدة وله في اللغة مصنفات كثيرة لم يسبق إلى مثلها .

السهمي

(١) روى التخطئة والجواب الدكتور مصطفى جواد الأديب اللغوي المشهور في إحدى مقالاته في مجلة (المجمع العلمي العربي) الغراء .

(٢) الصحاح : « البرهان الحجة ، وقد برهن عليه أي أقام الحجة » ولم يقل الجوهري — والحمد لله — هنا شيا . في اللسان : وأما قولهم برهن فلان فهو مولد والصواب أن يقال أبره ... كما قال ابن الاعرابي إن صح عنه .

قلت : إذا ثبت أن ابن الأعرابي قد روى (أبره) هذه — والعياذ بالله — فهل قالها الأعرابي ؟ وانظر إلى قول اللسان (إن صح عنه) لتعرف قدرها وقدر صحتها . والعجب من أبي القاسم كيف رواها ، ولما احتاج إليها أباها ، وراح يقول في ديباجة (أساسه) « البرهنين على ما كان من العرب العرباء ، وبرهن في كلام العلماء والأدباء ولم أجد أبره عند أحد .

حول الفن القصصي في القرآن الكريم :

(إلى الأستاذ محمد أحمد خلف الله)

سلام الله عليك وبعد ، لقد طلبت المشاركة في البحث ، وقدرت منذ اللحظة الأولى أنه من الجائز أن تكون أخطأت القصد أو ضلت السبيل ، وهذه روح تذكر فتشكر وسأذكر لك ما أذكر مجادلا بالتي هي أحسن .

وسأضع يدك أول الأمر على تناقض في مقالك ؛ فإنك قد عنيت في أوله ببيان أن الأسطورة ليست الكذب والمين ولا الخرافات والأوهام ، وإنه يجب ألا تزعجنا هذه اللفظة فنجري وراء الخيال ونعتقد أنها الأكذوبة أو الخرافة .

وأنت تريد بذلك طبعاً أن أساطير القرآن الكريم ليست كذبا ولا خرافة وإنما هي صدق وحق ، فما رأيك في قولك : « إن تمسكنا بالرأي الذي يقول : إن جسم القصة أو هيكل الحكاية حق ثابت ، بعد أن ثبت لدى العلماء الدارسين أنها من الأساطير أمر يعرض القرآن لشر مستطير » فأنت بالمقابلة بين الأساطير والحق الثابت أردت بها غيره وما هو إلا الكذب

(١) اللسان : إنما سميت الرماح يزنية لأن أول من عملت له ذو يزن ويقال رمح يزني وأزني .

والمين وبذلك وقع التناقض بين أول المقال وآخره .

بعد هذا أنتقل بك أيها الأخ إلى تفرقتك بين جسم القصة أو هيكل الحكاية وبين ما فيها من توجيه فأقول لك : إن صح هذا من الأفراد الذين يمن لهم المعنى فيريدون إيضاحه وبيانه فيجسمونه ويمثلونه ويضعون له الأشخاص والحوار والأصباغ كما فى قصة الأستاذ الخفيف التالية لمقالك « ذات صباح » — فلن يصح فى قصص القرآن ؛ إذ ليس فيه فاصل بين جسم القصة وتوجيهها ، بل هما توءمان ؛ ونحن نفهم فى قصة الأستاذ الخفيف أن « بهيجة » شخصية خيالية للفتاة التى يضحى بها أهلها حين يزوجونها ممن يحبون وتكره ؛ ولكنا لا نفهم فى قصة يوسف عليه السلام أنه وامرأة العزيز شخصان خياليان رمز بالأول للعفة وبالثانية للاستهتار .

فالحوادث والأشخاص فى القرآن الكريم ليسا وضعاً ولا خيالا وإنما هما حق ثابت ولو كان هناك شك فيهما ما خفى مئات السنين حتى ظهر الآن للعلماء الدارسين ! !

وما كنت أحب أيها الأخ أن تقتضب كلام الإمام الجليل الفخر الرازى حين تستشهد بتفسيره فتكون كمن قال ... لا تقربوا الصلاة وسكت . هلا ذكرت لنا — رحمك الله — قوله يفسر الأمور الأخرى :

« وثالثها » أنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تغيير مع أنه لم يتعلم ولم يتلمذ دل ذلك على أنه بوحى من الله تعالى .

وهلا تأملت فى قول الإمام الجليل من غير تحريف ولا تغيير وعلمت أنه يقصد جسم القصة وهيكل الحكاية وهو بذلك يرى رأى المسلمين قاطبة ؟ !

وأخيراً ، لعلك أيها الأخ قصدت حين فرقت بين جسم القصة ومافيها من توجيه ألا تكتفى برد عادية الملاحدة والمستشرقين عن القرآن الكريم بل بإقناعهم ليدخلوا فى دين الله أفواجاً حين تبدد شبههم بهذا التخريج الجميل ! !

هلا أدركت — عافاك الله — أنك تضم نصلا إلى حرابهم حين تجعل القرآن عضين ؟ ! كفاك الله شر المقتسمين ، واعلم أن الملاحدة والمستشرقين مع القرآن الكريم :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وإنك مهما بشرت لهم فلن يؤمنوا لك حتى تتبع ملتهم وما أظنك من الفاعلين . وسلام الله عليك .

ايتاى البارود — محمد علم الدين
مفتش المعارف

بين الأزهر والجامعة :

أرسل صاحب الفضيلة السكرتير العام للجامع الأزهر والمعاهد الدينية كتاباً (رسمياً) إلى سعادة عميد كلية الآداب يسأل فيه عما تم فى مسألة رسالة القصص الفنى فى القرآن ، ويقول فيه :

« وإنه ليهمنى أن أقف على حقيقة هذا الموضوع لأن من أخطر الأمور أن تتعرض قداسة القرآن ، وكرامة المعاهد لمثل هذه التخرصات » .



قصة من الأدب الروسي : (١)

حبة من القمح كبيضة الدجاج!

للفيلسوف الروسي ليو تولستوي

بقلم الأســـتاذ مصطفى جميل مرسي

بينما الصبية في لهوهم يعبثون ذات يوم . . . عثر أحدهم في ثلمة في الأرض على شيء عجيب فيه مشابه من حبة القمح . . بيد أنه كبير في حجمه حتى كاد أن يداني بيضة الدجاجة !! .

ومر بهم — وقد استخفهم المرح وتملكهم الفرح بلقيتهم — مسافر من جوّابي البقاع . . فلما أبصر ذلك الشيء بين أناملهم ، عوضهم عنه بفلس وحمله معه إلى المدينة . . حيث باعه للملك بمال كثير كعجيبة من العجائب التي تمخض عنها الزمن ...

فدعا الملك إلى مجلسه أهل العلم وأولى الحكمة وأرادهم على أن يأتوه بحقيقة ذلك الشيء ... فانثنى العلماء إلى كتبهم يتصفحونها ، وانقلب الحكماء إلى عقولهم يستحثونها . ولكنهم لم يحيروا لهذا الشيء معرفة لماهيته وإدراكا لحقيقته ! . . حتى كان اليوم الذي طارت فيه دجاجة إلى عتبة النافذة حيث ترك ذلك الشيء العجيب عليها . . فراحت تضرب فيه بمنقارها حتى خلفت ثقباً في جانب منه ! . ويومها أدرك العلماء أن ذلك الشيء ليس إلا حبة من القمح ! .

فلما حملوا إلى الملك ذلك النبأ . . اشتدت حيرته وتزايد عجبه وأمرهم بالبحث في أي حين من الزمن وفي أي بقعة من الأرض . كان الناس يزرعون مثل هذا القمح ! .

فعاد العلماء إلى كتبهم يقلبونها وانثنى أهل الحكمة إلى عقولهم يتروون من جديد . . ولكنهم باؤوا بمثل ما كان نصيبهم في المرة الأولى ! . فذهب إلى الملك وفد منهم . . وقال له :

— « ليس في قدرتنا الإجابة على ما تطلبه مولانا . !

فما حوت كتبنا نبأ عنه . . ولا انتهت عقولنا إلى فهم له . .

ولكن في مكنة مولانا أن يسأل الفلاحين لعل بعضهم يعلم عن آبائه . . في أي حين وفي أي بقعة كان القمح يزرع في مثل هذا الحجم . ! . »

فأمر الملك أن ينبعث أعوانه في أرجاء البلاد وينتشروا في مختلف ربوعها . ويأتوه ببعض الفلاحين الذين بلغوا من العمر عتياً .

فلم يلبثوا بعد حين أن فازوا ببغيتهم . . فأحضروا إلى الملك رجلا تقدمت به السنين فأحنى ظهره ثقلها . . فراح يتوكأ على دعامتين . معروق الوجه ، شاحب اللون مهدل العارضين متغضن البشرة . .

فناوله الملك حبة القمح ... بيد أن كفافة بصره قصرت به عن رؤيتها ... فراح يتحسسها بين أنامله الجاسية . فسأله الملك :

« هل لك في أن تخبرنا ... أيها العجوز عن المكان الذي كان يزرع فيه مثل هذه القمحة ؟ ! ونبئنا إن كنت قد اشتريت أو زرعت شيئاً مثلها في حقولك ؟ ! ... »

كان يسمع الشيخ وقر جعله عاجزاً عن الإصغاء إلى ما قاله الملك ... بيد أنه لم يلبث أن أدركه في مشقة وجهد . . فقال بعد أن مكث حيناً لا ينبس :

— « كلا ... إني لم أزرع ولم أحصد قط مثلها في حقلي . كما أني لم أشتر أبداً شيئاً يشبهها ... وحينما كنا نتبايع القمح كانت حبوبه صغيرة في مثل حجمها اليوم ... غير أنه يجمل بك أن تسأل أبي لعل سمعه قد وعى خبراً عن الفج الذي كانت تزرع فيه ! »

* * *

فبعث الملك رجاله في طلب والد الشيخ ... فعادوا به وهو يمشي معتمداً على عصا غليظة ... فلما ناوله الملك حبة القمح ... قلبها بين يديه ، وراح يمعن فيها النظر ، وقد عجز الكبر عن أن يذهب بحدته ! ... فسأله الملك : « أما في قدرتك أيها العجوز أن تخبرنا عن المكان الذي كان يزرع فيه مثل هذه القمحة ؟ ! وهلا أنبأتنا إن كنت قد اشتريت أو زرعت مثلها في حقولك ؟ »

لم يذهب الثقل بسمع الشيخ ، بل ما زال سمعه خيراً من

(١) من كتابنا « روائع الأدب الروسي » يصدر قريباً . جميل

سمع ولده .. فأجاب الملك فى صوت هادىء رزين :

— « كلا ! . إنى لم أزرع ولم أحصد مثلها فى حقلى ! .. كما أنى لم أشتر شيئاً يشبهها ! . فما كان للنقود تداول فى أيامنا .. فكان كل امرىء يزرع قمحة . . . وما زاد عن حاجته يهبه من فى عوز ! .

لست أدرى أين كان يزرع مثل هذا القمح . . . ولكنى أعتقد أن القمح فى عهدنا كان أكبر حجماً وأكثر دقيقاً منه فى أيامنا هذه . . . بيد أنه — مع ذلك — لم يبلغ حجم هذه القمحة . وأحسبك واجداً عند أبى فائدة وعلماً عنها ! فسله »

* * *

فأرسل الملك من يأتى بوالد الشيخ .. فغابو حيناً ، ثم عادوا به إلى حضرة الملك ! . . يسعى فى سيره فى خفة ونشاط له بصر ثاقب وسمع مرهف ... ولسان ينطق فى جلاء ! ..

فلما مد الملك له يداً بحبة القمح ... تناولها منه ... وراح يقلبها فى راحتيه . . . ويمعن فيها النظر .. ثم لم يلبث أن ارتفع صوته فى هدوء « لم أر مثل هذه القمحة إلا منذ زمن سحيق .. سحيق جداً ! . » وقضم شطراً من الحبة بثناياه ، وأخذ يتذوقها بفمه !! واستطرد فى قوله :

— « إنها نفس النوع ! ... » فسأله الملك :

— « ألا حدثتنا أيها الجد الوقور ... فى أى مكان وفى أى زمان ، كان الناس يزرعون مثل هذا القمح . . . وهلا خبرتنا إن كنت قد ابتعت أو زرعت مثلها فى حقولك ؟! .. »

فأجابه الشيخ : —

... كان هذا القمح يزرع فى كل البقاع فى أيامى لقد طعمته فى شبابى ، وأطعمت غيرى منه ! . وطالما زرعناه فى أراضينا . . وحصدناه ... ودرسناه ! ! . »

فقال الملك وقد استبد به العجب وتملكه الفضول : —

« هل كنت تبتاعه ؟! أم كنت تزرعه بيديك ؟ ! »

فتريث الشيخ حيناً ... كأنه يسبر غور الماضى ، ويستعيد ذكراه — وقد ضرب النسيان عليها سجنه وأرخى دونها سدوله — ثم أجابه : « لم يكن ثمت واحد .. فى أيامى .. يجسر على أن يأتى هذه الخطيئة .. أن يبيع أو يشترى الخبز .. ولم نكن ندرى شيئاً عن هذه النقود التى تتداولونها الآن . . فكان لكل امرىء كفايته من القمح والزاد ! . »

— بالله خبرنى أين توجد أراضيك حيث كنت تزرع فيها ذلك القمح ؟! . »

فتبسم الشيخ وأجابه فى هدوء :

— « كان حقلى هو « أرض الله » الواسعة ... أينما زرعت وحيثما غرست فهذا حقلى ... فكانت الأرض مباحة طليقة بين الناس ! . وما كنت تجد واحداً يجرؤ على القول بأن هذه الأرض ملكه .. بل العمل هو وحده الذى كان ملكا للناس » :

— « هلا أجبتنى أيها الجد الكريم .. إلى سؤالين آخرين ؟

أولها : لماذا كانت الأرض تنبت مثل هذا القمح ، ثم لماذا كفت عن إخراجه الآن ؟ !! . .

وثانيهما : ما العلة فى أن حفيدك لا يخطو إلا على دعامتين وابنك يتوكأ على عصا واحدة . أما أنت فلا تعتمد على شىء ؟! وما الذى جعلك ذا بصر ثاقب وسمع مرهف وصوت واضح جلى تهفو الأذن لسماعه ؟ ! »

فهز الشيخ رأسه ، وما زالت البسمة مترسمة على شفتيه وقال :

— « لقد صار الأمر إلى هذه الحال .. لأن الناس كفوا عن العيش بما تعمله أيديهم ، وراحوا يسخرون غيرهم لعمل ما تعوزهم الحاجة إليه ! .

فى أيامنا الخوالى . . كان الناس يعيشون حسب ما سنته لهم شريعة « الله » .. « العامل بعمله » ! . فلم تملأ الضغائن نفوسهم ولم تفسد الأحقاد قلوبهم .. ولم يكن بينهم من ينظر بعين الحسد إلى ما متع الله به بعضاً منهم ! . . »

(طنطا) مصطفى جميل مرسى